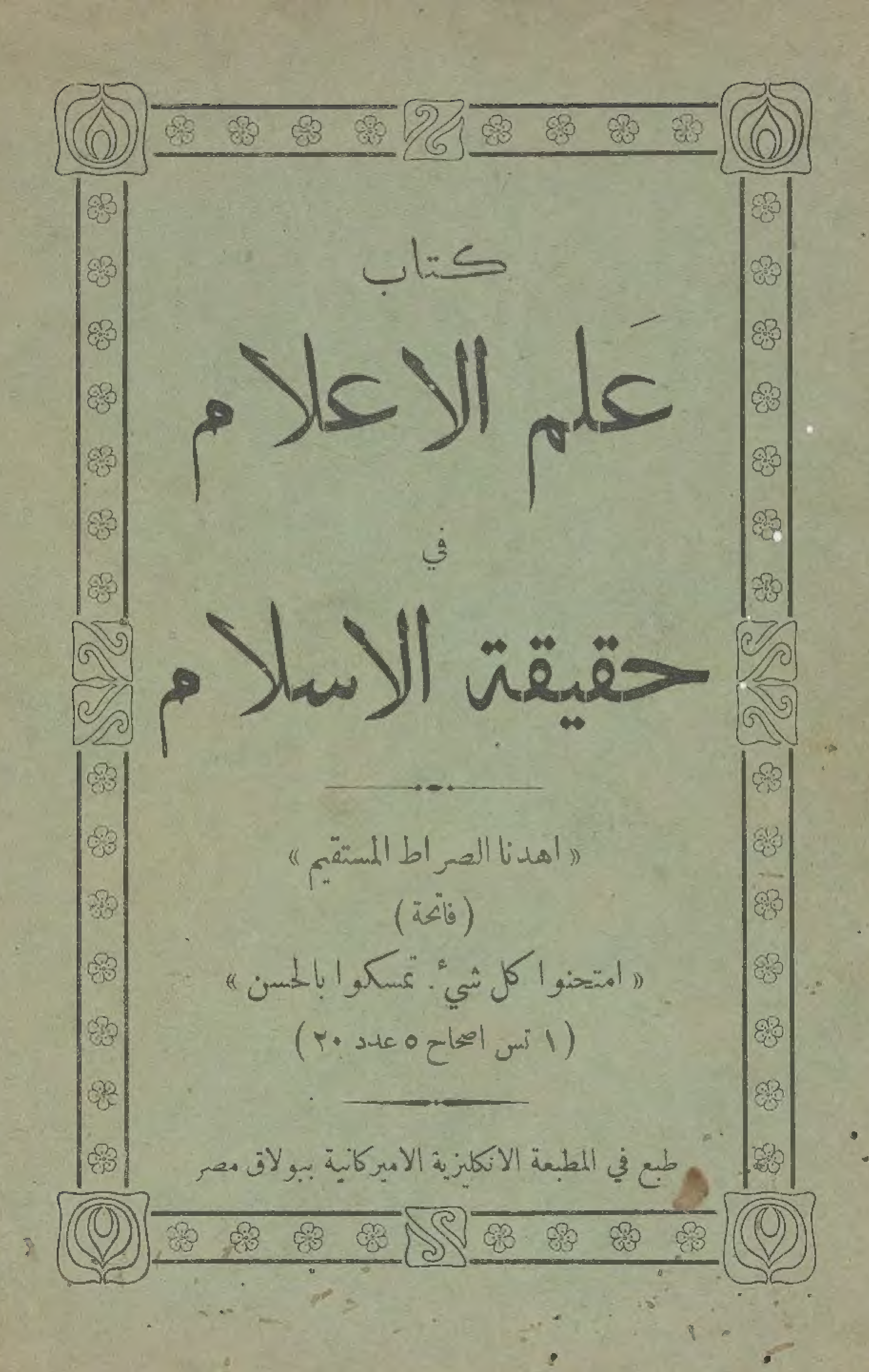


كتاب

عَلم الاعلام

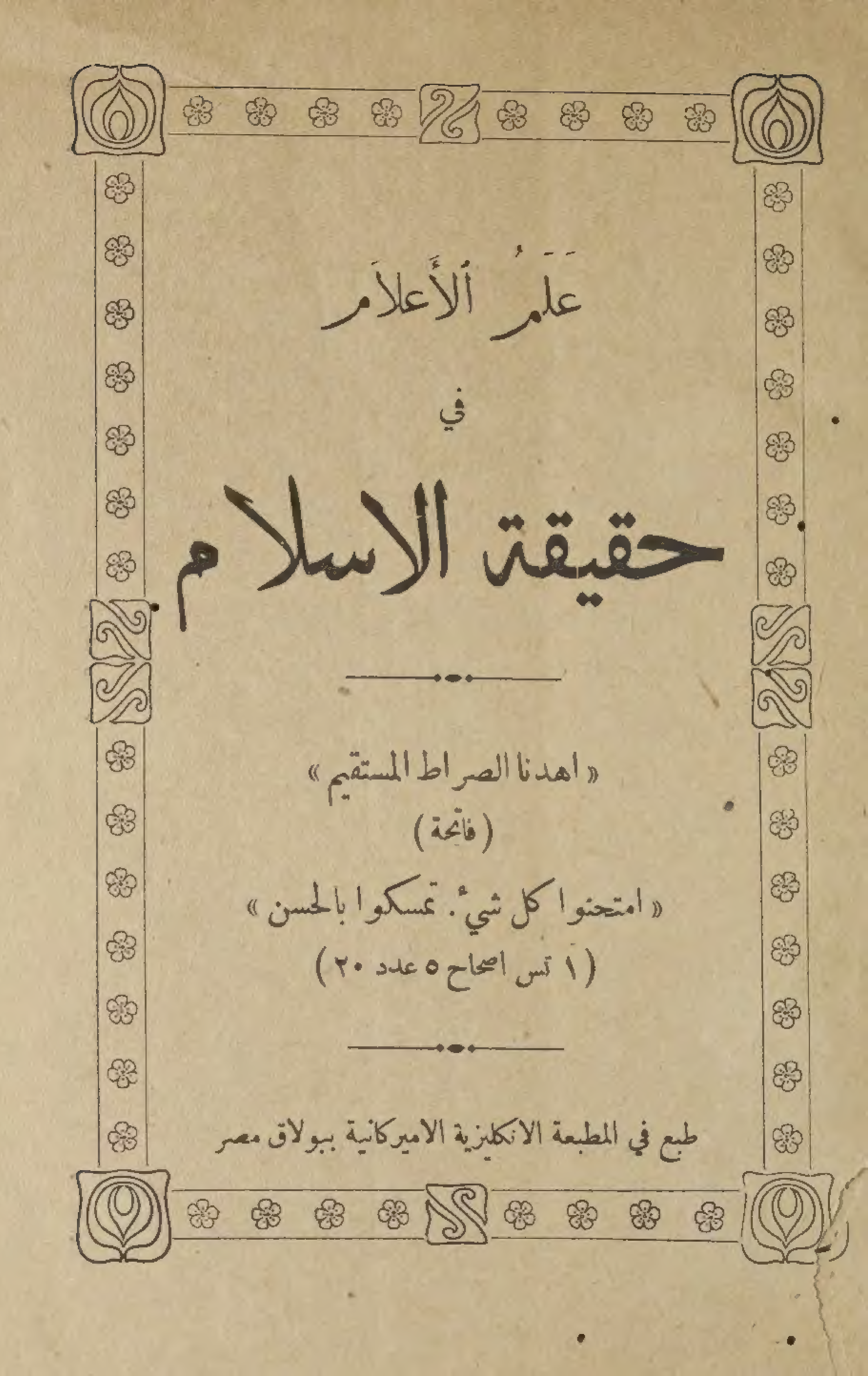
في

حقيقة الاسلام

« اهدنا الصراط المستقيم »
(فاتحة)

« امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن »
(١ تس اصحاح ٥ عدد ٢٠)

طبع في المطبعة الانكليزية الاميركانية ببولاق مصر



عَلَمُ الأَعلاَم

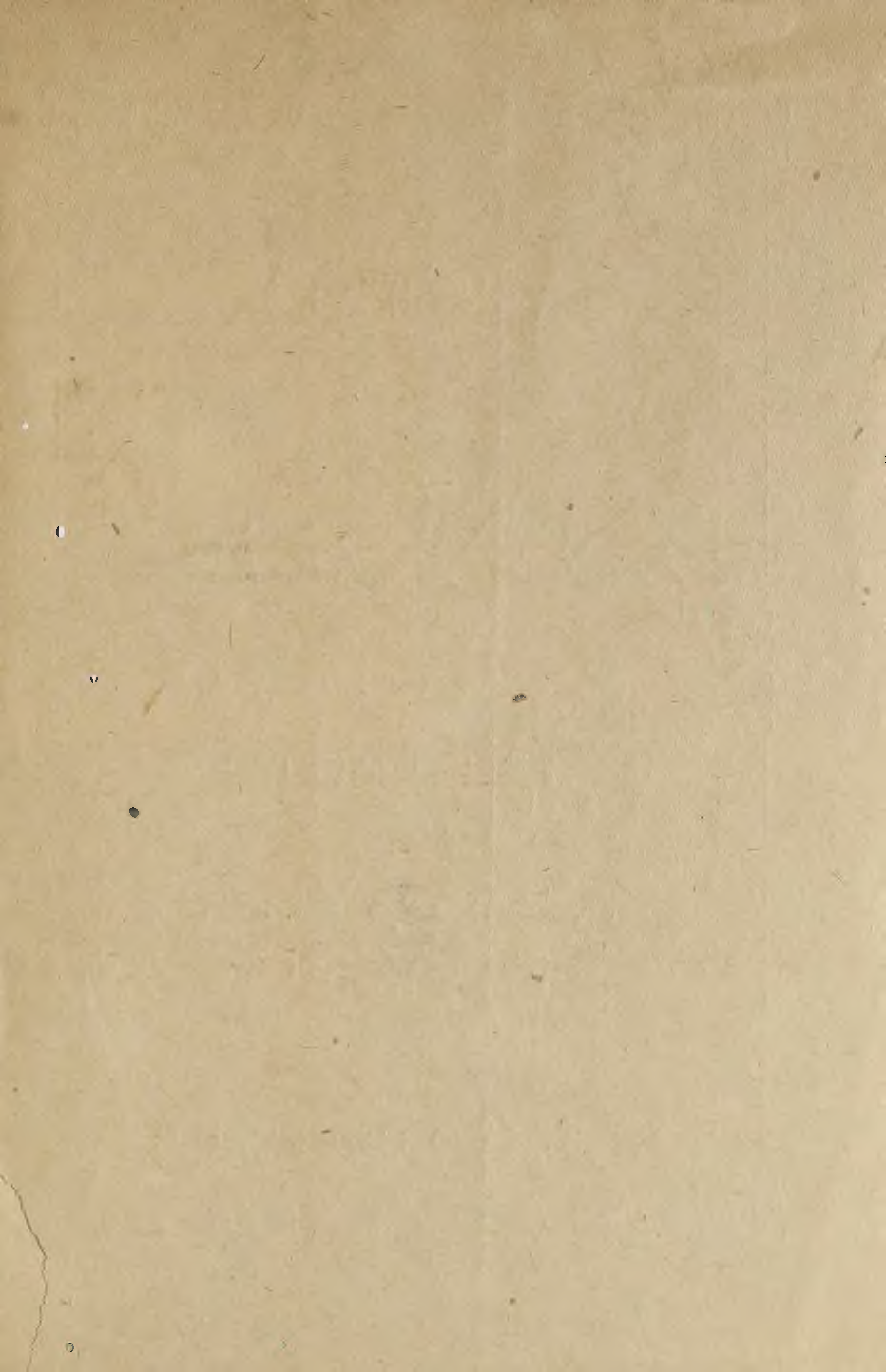
في

حقيقة الاسلام

«اهدنا الصراط المستقيم»
(فاتحة)

«امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن»
(١ تس اصحاح ٥ عدد ٢٠)

طبع في المطبعة الانكليزية الاميركانية ببولاق مصر



مقدمة

حمداً لله فاطر الانسان على الميل والرغبة لمعرفة باريه المنّان علّة وجوده وكيانه . اما بعد لما كانت الحقيقة اعظم ما يصبو اليه العقل وترتاح اليه النفس لا ترى لها سعادة من دونها ولا هناء الا بها كانت ابداً ودائماً ضالتها المنشودة وغرضها التي ترمي اليه . على انه لمزيد الاسف يغلب في أولي العقول الجبن الذي كثيراً ما يوقفهم عن الجري وراءها . ويصدهم عن السير الحثيث في سبيل البحث عنها رهبة ورغبة واذا هم توفقوا الى ادراكها وشغفوا بجميل محياها اوصدوا عليها خزائن صدورهم فلا يبرزونها الا حيث يأمنون غائلة الجهر بها . على ان المرء بثلاث العقل والشهامة والشجاعة والبطل هو من خاض غير هياب ولا وجل ميادين الحرب الادبية ذاباً عن غادة الحقيقة ربيع القلوب وحياة العقول غير خاش بالله لومة لائم ولا ضر ضار ما اقل انصار الحق وما امجد فوزه القلب ابداً له وان قل انصاره ما خاض معممة الا خرج منها ظافراً منصوراً فلكم فاز بقهر الخصوم وكيد العدى بنفر من خاملي الذكر وضعاف الناس فجندي الحق ما فل حسامه ولا نكست رايته ولا ولى قفاه لعدوه وشاهد ذلك التاريخ والحال الحاضر وذلك ما جرأني ودفع بي الى الاقدام على الكتابة الآتية بصورة رسالة الى صديق لي صدوق من خيار المسلمين ونخبة الادباء المهذبين من لا يعرف للتعصب الطائفي معنى ولا للغرض المذهبي وجهاً باذلاً جهد

المستطاع في سبيل نسقها وسبكها على التي هي احسن بحيث لا يأباها أولو الذوق ولا ينفر منها الدين المخلص والله في ذلك مقصدي وعمدتي

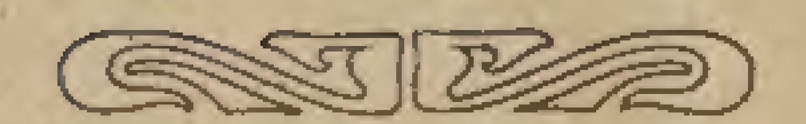
الى حضرة الفاضل الاديب والصديق الودود المحترم

بعد سوأل كريم خاطركم وبث لواعج الشوق لرؤية انسكم اقول ان من فضل الله والله ذو الفضل العظيم انه اتاح لي صداقة نبيل فاضل نظيركم جامعاً ما بيننا من دقة الحس وحسن الولاء الى درجة غدا بها كل منا يؤثر الآخر على نفسه في اكثر الامور. ولما كان ايها الحبيب من حق الصداقة والاخاء ان لا يكتم احد الصديقين عن صديقه العزيز ما يراه خيراً له ولا يضن عليه بشيء مما يتيقنه من بواعث السلام وذرائع السعادة اتقدم الآن اليكم باسم الله ربنا بهذه الرسالة التي ارجو انكم حين تقرأونها ان شاء الله تقرأون فيها ايضاً صورة الحب النقي والاخلاص اللذين بعثا بي الى كتابتها وتقديمها الى كريم نظيركم اعلم بعده القاصي عن روح التعصب والمكابرة وانك لتعلمني ايها العزيز اني من الذين ينشدون الحقيقة لا يرضون عنها بديلاً فذهني وروحي حاضران ابداً ودائماً لقبول مسئلة يشع لي من خلالها نور الحقيقة ولا يخفى عليكم اني منذ سنين عديدة اولعت ولعاً شديداً بدرس دين الاسلام فدرسته جهد المستطاع اصوله وفروعه اركانه وشعائره لاعتباري المسلمين اخواني واقرب الامم الى ديني فطالعت باوفر تدقيق السيرة النبوية مرتين وثلاثاً ودرست القرآن مراراً بترو وتدبر وانتقيت منه نصوصاً عديدة جامعاً اياها على حدة لزيادة التأمل بها وتحري غايتها ولقصر باعي في اللغة لم اعتمد على نفسي في تفهم اكثر تلك

النصوص وسبر غور تلك الاقوال لا سيما الجهلي البواعث اليها وطبيعـة العرب وعوائدهم في تلك الايام رمت الوقوف على شرحها وتأويلها من اساطين علماء الاسـلام المعول عليهم في تفسير القرآن فطالعت بكل ترو ودقة شروحاتها المطولة والموجزة للامام الفخر الرازي والبيضاوي والجلالين واوغلت في دراسة الصحيحين لمسـلم والبخاري ثم كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي وغير ذلك مما وصلت اليه يدي كعقد الفريد وابن الوردي وشيء من تاريخ ابن الاثير وما غايتي في ذلك سوى الحقيقة و بعبارة اخرى لارى مكان الاسلام من الدين المسيحي وموضع الدين المسيحي في الاسلام وحالتي التقارب والتباعد بينهما ولم امل الى الخوض في هذا المبحث الجلل مع بعض الادباء من المسلمين وعلمائهم خشية من ان يؤدي ذلك الى ما لا تحمد مغبته ولم آمن من نفسي التخطي في اثناء المحادثة حد اللياقة بالكلام واللهجة. فرأيت الافضل والاسلم ان اقف من هذا القبيل على افكار كبار علماء الاسـلام وائمته الماضين المدونة في تأليفهم ومصنفاتهم كالمتقدم ذكرها كاني باولئك الاعلام احياء احدثهم ويحدثوني اسألهم ويجيبونني من دون اقل استياء واحتداد واذا بعض الاحيان سـاقتني التقادير الى الدخول مع بعض ادباء المسلمين في بحث ديني كنت ثم على غاية من الاحتراس حتى لا يبدر مني كلـة تحرك منه ساكن الغيظ مع الاسراع الى قفل باب المحادثة اما بتغيير الموضوع او بالاستئذان في الانصراف ذلك لمعرفتي موضع الانسـان من الضعف وعدم الاستخفاف بسطوة الوراثة والتربية على الذهن والعاطفة اياماً طوالاً وانه ليس بالامر السهل نشطهما من مثل هذا العقال المتين الضاغط عليهما ضغط الكابوس الثقيل على النائم و بعده

لا يخفى على الجناب ان العلم الذي قد ازداد في هـذا العصر تعاظماً واتساعاً واقف بازاء الاديان لا كند للدين يبغي صرعه كلا بل كقريب له عضود يبغي محصه وتجريده مما قد طرأ عليه من شؤم الطوارئ التي قد شوهت جماله وفرقت الناس فيه واثارت عليه حرب المارقين الملحدين ولما كان ايها العزيز من شأن اللبيب الحر اعتبار الدين الحق كسبيل سعادته واجلال العلم الصحيح كغذاء العقل كان لا بد له من السعي الحثيث في سبيل بيان وفاقهما وما بينهما من شرف النسب والاخاء لان كليهما من ربك العليم القدير. وعليه اما حان لنا معاشر العقلاء محص الدين الذي فيه ولدنا وعليه نشأنا مسيحيين كنا او مسلمين او اسرائيليين او بوذيين محصاً اصولياً لنرى أ على ضلال نحن ام على هدى لاننا نعلم وكل ذي بصيرة يعلم انه من المحل المحال كيان كل فريق على الحق الصراح والهدى القويم كما يدعي كل ذي دين ومذهب والادعاء لا يقوم مقام البرهان الا يهمنا ذلك ؟ الا يهمني ويهمك ويهم كل ذي دين ومذهب ؟ بلى بلى واي شيء يضاهيه في الاهمية أواه يا صديق كثيرون يخطر لهم هذا الخاطر ويعرضون عنه لدواع واسباب لا اراكم تجهلونها وهذا ما يعلني ويدفع بي الى الاحتكاك بفاضل نظيركم بمثل هذه الرسالة غير مبال ارضاكم ذلك مني او اغاظكم لاني على يقين ان رجلاً مثلكم ولو نفر بادئ بدء من كتابة كهذه باغتته والقاها عنه جانباً بنوع من الازدراء والامتهان لا يلبث ان يروق خاطره ويلوم نفسه على تسرعه هذا ويعود الى النظر فيها بهدو وترو علماً منه ان ليس كل ما لا يطيب للذوق مباشرة هو رديء ضار فلكم من عليل سقيم نبذ عنه للحال خير علاج لعلة سقمه لانه غير صالح لحاسة

ذوقه او شمه ثم لم يلبث ان عاد لحكم العقل وتناول ذلك العلاج فانتفع به وشكر واصفه له و بعد فان لدي سبع مسائل في الاسلام يهم كل مسلم يروم الحقيقة ان ينظر فيها نظر المدقق المتدبر واعتقادي بسمو تعقلكم ونبالتكم يجرئني على بسطها لديكم لابداء رأيكم فيها و بث حكمكم من جهتها حكماً غير مشوب برائحة الغرض المذهبي كما هو المتوقع منكم والله القدير يرشدنا واياكم وجميع عباده محجة الصواب و يسدد خطواتنا في سبيل الهدى والسلام له الحمد في البداءة والختام



سبع مسائل في الاسلام

المسألة الاولى

الاسلام ومصادره

المسألة الثانية

دعوى ان الله بعث في كل امة رسولاً منها اليها

المسألة الثالثة

الجن

المسألة الرابعة

الزعم بان الله عز وجل رجع عن بعض شرعه ووعده

المسألة الخامسة

الزعم بان اهل القبور يعذبون في قبورهم

المسألة السادسة

الامر بالفسق لتحق العقوبة على الفاسقين

المسألة السابعة

ما جاز على نبي الاسلام ما لم يجز على سواه من انبياء الله ورسله

المسألة الاولى

الاسلام ومصادره

لننظر اولاً في كلمة اسلام فنقول على سبيل السؤال ما هو الاسلام؟

الامر بين انه قبل محمد بن عبد الله لم يعرف بهذا الاسم دين من اديان العالم فيا مولاي انبئني ماذا يراد بكلمة اسلام لا بد لك ان تقول يراد بالاسلام ديناً اسلام الانسان وجهه وقلبه لله طائعاً مختاراً للايمان به وطاعته وعبادته بالخشية والاحترام عن طيبة خاطر ورغبة تلب حسبما جاء في كتابه تعالى. ولغة هو مصدر فعل اسلم ويسلم كاعلام مصدر اعلم ويعلم والمراد به التسليم والاقرار بصحة النبأ وتصديق الخبر او تسليم المغلوب في الحرب لغالبه سلاحه ونفسه فمن حيث الاول اقول حين اعلن الرسول محمد لقومه قريش انه رسول الله اليهم ونادى لهم بوحدانية الله ودعاهم الى الايمان به كالواحد الاحد والى عبادته تعالى من دون اشراك به وبنفسه كنبي الله ورسوله وبشرهم عن لسانه تعالى بجنات تجري من تحتها الانهار الى غير ذلك من المواعيد السموية الخطيرة فالذين سلموا منهم بصحة دعواه وبكل ما قال لهم عن لسان الله وانحازوا اليه دعاهم مسلمين ودعى مذهبهم هذا اسلاماً تميزاً من اسماء الاديان المشهورة في ايامه كاليهودية والنصرانية والصابئية. على ان هذه الاسماء يا مولاي نسبية فقط كقولك دين اليهود او دين موسى ودين المسيح والمسيحيين . وعليه كان الانسب والاقوم لو سمى محمد الدين الذي نادى به دين محمد واتباعه محمديين كما

يقال «امة محمد» وكما يقول محمد «امتي» وكما يقول عن المسيحيين «امة عيسى» لان لفظة اسلام بحد ذاتها كما ترى لا تدل على دين لانها ليست اكثر من مصدر فعل من مصادر الافعال وقط لم يجئ في التوراة والانجيل ان الدين عند الله الموسوي والمسيحي كما جاء في القرآن «ان الدين عند الله الاسلام سورة آل عمران آية ١٦[١]» ألا ترى انه لو قل ان الدين عند الله هو توحيد الله والايمان به وبما انزل على انبيائه ورسله هو ابين واشرب للعقل والقلب من القول «الدين عند الله الاسلام» وليس في كلمة اسلام شيء من البيان عن ماهية الدين ونوعه ألا ترى ان الدين شيء والاسلام والتسليم به شيء آخر الاول اعتقاد ويقين بالله وبامور لم ترَ والآخر مصدر فعل ليس الا . هذا وكثيراً ما يكون اسلام زيد مجرد تسليم اي هو عار من صبغة الايمان بالله وبكتابه فكيف جاز ان يسمى ديناً ويقال «ان الدين عند الله الاسلام» فالاسلام غير الدين والدين هو غير الاسلام. تأمل

مصادر الاسلام

ان لكل صادر مصدراً صدر عنه والدين صادر فلا بدّ له من مصدر او مصادر صدر عنها وقد يكون الله مصدر دين قوم وقد تكون عقول اناس ابتدعته ابتداعاً وقد يكون مجموعاً ومؤلفاً من هنا وهناك ومن هذا وذاك ومسلم

---

[١] شرح النص «ان الدين عند الله الاسلام» اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بيضاوي جزء اول وجه ١١٠

ان الدين الحق دين السلام والنعمة هو دين ابرهيم وموسى والمسيح قد صدر عن الله مصدر المحبة والرحمة مؤيداً من الله بالدليل الراهن والبرهان الناصع برهان لآيات الخارقة والمعجزات الفائقة كآيات موسى والمسيح وهو لم يزل معلناً بيناً في كتاب الله التوراة والانجيل بايدي اهله . لمن المعلوم ان عامة المسلمين يعتقدون ان الاسلام بكله وجزئه بانبائه وشرائعه بمراسيمه وفرائضه ووعده ووعيده أنزل رأساً من الله على نبيه محمد الهاشمي بلسان جبرائيل وبالوحي السري و بعضهم او كلهم ان القرآن باجمعه كان مكتوباً من الله في السماء في اللوح المحفوظ عند الله وانه سبحنه انزله على نبيه محمد انجماً تترى اليه قطعاً متوالية حسب مقتضى الحال . واني افتكر ان الالباء منهم اولي الافكار الحرة وصحة الوجدان يمنع على اذهانهم وضمائرهم التسليم بصحة امر كهذا من دون امتحانه ودقة البحث عن اصله ومصدره لان العقل الراقي يأبى التسخر لاعتبار ما يعتبره العامة من دون فحص واستقصاء وكأني بامثال هؤلاء العقلاء يقولون انى لنا ارغام العقل على التسليم بصحة هذا الاعتقاد بناء على كونه ارثاً لنا من الآباء والجدود ولان المسلمين به الوف وملايين وهو يضطرنا الى فحصه والبحث عنه قانونياً لكي لا يكون اعتقادنا مبني على غير اساس فلننظر أحقيق ان الاسلام دين محمد انزل بكله وجزئه رأساً من الله على النبي والا فنعلم

و بعد يا صديقي العزيز ليس بخاف على ذكائكم ان الابحاث العصرية في احوال العرب الجاهلية والاقوام الصابئية من حيث معتقداتهم وشرائعهم وعوائدهم الدينية والمدنية اظهرت الى الوجود ان معظم شرع الاسلام اركانه

ومراسيمه وشعائره وفرائضه كانت معروفة عندهم ومعمولاً بها منهم قبل ان يولد محمد بازمنة كثيرة وحقب طويلة . ذلك فضلاً عن كثير من القصص والحكايات والعادات اليهودية والنصرانية المرصع بها القرآن بتكرار زائد على صور واشكال شتى ما لا سبيل الى انكاره بوجه من الوجوه كما سترى وكما ترى ذلك ان شئت في مؤلف لرجل انكليزي يدعى (سنت كلاير تسدل) المسمى «مصادر الاسلام» اما انا يا مولاي لم اعتمد في كتابتي هذه الرسالة اليكم على تأليف مؤلف اجنبي عن المسلمين لان خطتي التي قد جريت عليها منذ البداءة في كتاباتي لفائدة اخواننا واحبائنا المسلمين هي ان اعتمد فيها على كتب دينهم وتأليف أئمتهم وعلمائهم ليس الا حتى لا يكون لهم وجه لانكار ما آتي به منها

لا يخفى على حضرتكم اني منذ سنين عديدة رأيت من كتاب السيرة النبوية الملكية ان الحج الى الكعبة بكل رسومه ومناسكه وقربانه داخل في دين محمد من العرب الجاهلية صدق عليه القرآن وجرى عليه المسلمون ومؤخراً أتيح لي الوقوف على مؤلف تاريخي لاحد افاضل المسلمين المدعو محمود افندي شكري الالوسي البغدادي المطبوع بالرخصة الرسمية في مدينة بغداد المسمى «بلوغ الارب في احوال العرب» الذي والحمد لله قد ابلغني منتهى اربي في هذا الموضوع جزى الله المؤلف خيراً واني لقد استغربت غاية الاستغراب ان عالماً مسلماً كهذا يرصع تأليفه هذا بكذا قضايا تاريخية تنكد على العقيدة الاسلامية بانزال كل كلمة في القرآن رأساً من الله على محمد نبي الاسلام والذي يظهر من ذلك ان بعض علماء الاسلام المتأخرين او كثيرين منهم لا يأبون

ظهور مثل هذه الحقائق التاريخية المستحيل اخفاؤها في مثل هذا العصر الانور وربما كان ذلك منهم لغاية بيان ان الاقوام الجاهلية في كل ازمنة التاريخ لم تحرم بتة من معرفة الله الحي الحقيقي ومبادئ دينه الاولية

لا اعلم كيف اسرار مصادر الاسلام الآتي شرحها وابدي عليها الملاحظات الواجبة على اسلوب مقبول من اولي العقول فليرشدني الله في ذلك وهو حسبي ونعم المعين فاتقدم باسم الله الى هذا العمل الخطير مبتدئاً فيه من الصابئين

المصدر الاول

الصابئون

يقول في هذا المؤلف وللصابئة خمس صلوات في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين الخمس . وقيل سبع صلوات خمس صلوات توافق صلوات المسلمين من حيث الوقت (اي الصبح والظهر والعصر والمساء والعشاء) والسادسة في نصف الليل والسابعة صلاة الضحى . ولهم الصلاة على الميت بلا ركوع ولاسجود ويصومون ثلاثين يوماً شهراً هلالياً وابتداء صومهم من ربع الليل الاخير الى غروب قرص الشمس وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج اليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات الزواج ما يحرم المسلمون كتاب بلوغ الارب في احوال العرب جزء ثاني وجه ٢٤٤ و٢٤٦

ملاحظة

الصابئون امة عريقة في القدم قيل انها كانت من عبدة الاجرام السموية وقيل من عبدة الملائكة ويظهر لك مما تقدم انها كانت امة راقية وعلى ذلك ادلة كثيرة نكتفي هنا بما جاء في كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر لابن خلدون قال في الفصل السادس من الجزء الاول من ذلك الكتاب «اما بيت المقدس وهو المسجد الاقصى فكان اول امره ايام الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت في ما يقربونه يصبونه على الصخرة التي هناك . ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم» فدل بذلك على ان الصابئين كانوا امة مشهورة قبل ان استولى بنو اسرائيل على اورشليم ثم ان الصابئين بقوا بعد الاسلام قروناً وقد رثى الشريف الرضي واحداً منهم وهو الصابئ الكاتب المشهور وقد ذكرهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل وفصل بعض عقائدهم وذكرهم الزمخشري وغيره من المفسرين في الكلام على ما ذكروا فيه من الآيات

فيا رعاك الله انظر اذا كان للاقوام الصابئين وهم قبل ان وجد محمد بكثير او بقليل مثل هذه الشرائع والعوائد ايستبعد ان نبي الاسلام اتخذها عنهم واثبتها في قرآنه الا يكون وجودها في القرآن باعث للمظنة انه فعل ذلك وهل من وسيلة لدرء هذا الظن العادل من قلب المسلم النبيه المطلع على حقيقة ما ذكر لا ارى .لامراء ان المسلم النبيل لدى تأكده وجود هذه الشرائع والعادات عند

الصابئية يداخله ولا بد الريب في دعوى انزال هذه الشرائع على محمد من لدن الله وانى له التنصل من هذا الريب المتأتي الى قلبه مما قد علم اكيداً

و بعد الا يلوح للقاريء الفطن من نفس القرآن انه كان لمحمد شيء من الاتصال والصداقة مع بعض صابئي زمانه وانه قد استحسن ما هم عليه من الشرائع والعادات الدينية وعدة صلواتهم واوقاتها فضمها الى مذهبه . لاحظ ما جاء في صورة البقرة «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولاهم يحزنون آية ٦١» الذين آمنوا اي اسلموا والذين هادوا أي تهودوا من العرب انظر ذكر في هذا النص بعد الذين اسلموا الثلاث الفرق الدينية المشهورة بمجاوريه ولم يفند شيئاً من عقائدهم وعاداتهم الدينية لا تصريحاً ولا تلميحاً انما عرض بحميد عاقبة الثقاة منهم المؤمنين بالله واليوم الآخر مؤكداً لهم حسن الاجر عند ربهم بغض النظر عن قبولهم الاسلام او عدم قبوله تأمل اذا كان القرآن ينص عن الصابئين مثل هذا النص الحسن وكان لب شرع محمد فيه شرعهم السابق له حرفاً ومعناً الا يعقل ان محمداً نقل ذلك عنهم ايستبعد ذلك كلاً لا يستبعد بل هو معقول ولا محيد عما هو معقول . كيف ترى

المصدر الثاني

العرب الجاهلية

جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني « وكانت الجاهلية تفعل اشياء جاءت شريعة الاسلام بها منها انهم كانوا لا يتزوجون الام و بنتها وكان اقبحُ شيءٌ عندهم الجمع بين الاختين . وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة ابيه ويسمونه الضيزن وكانوا يحجون البيت و يعتمرون ويطوفون و يسعون و يقفون المواقف كلها ويرمون الجمار و يغتسلون من الجنابة وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى »

وفي كتاب بلوغ الارب في احوال العرب يقول في ذكره الموحدين من العرب قبل الاسلام ما ملخصه « كان العرب يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا ابرهيم عليه السلام قد تلقوها من ولده اسمعيل فكانوا يعتقدون ان الله واحد لا شريك له ولا وزير وهو السميع البصير وكانوا يصلون ويصومون ويحجون و يزكون ثم على تمادي الايام زاغوا وافترقت كلمتهم وانقسموا في التعبد الى اقسام ومنهم بقية لم تتغير ولم تبدل من شريعة اسمعيل بن ابرهيم ملتزمين ما كانوا عليه من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة وغير ذلك وهؤلاء افترقوا فمنهم من بقي على التوحيد وما استفاض من افراد الله في عبادته . . . وقد كان العرب في الجاهلية لا يقربون النساء في حال حيضهن

ويحكمون بايقاع الطلاق اذا كان ثلاثاً وجواز الرجعة في الواحدة والاثنين وانهم كانوا يطوفون بالبيت سبعاً جزء اول ٢٠٩ و٢١٢ و٣١٩ و٣٢٢ و٣٢٥

ومن كتاب السيرة النبوية الملكية «فكانت قريش في الجاهلية اذا صلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده»

ملاحظة

الا يخلق بكل مسلم حر اعمال عقله بملاحظة هذه الامور التي كان عليها العرب قبل محمد بازمنة طوال حتى الى يومه ويحكم حكم ذي وجدان هل ليست هذه الامور مدخلة منهم على الاسلام تأمل قول الشهرستاني «وكانت الجاهلية تفعل اشياء جاءت شريعة الاسلام بها» فمن اين ايها الفاضل جاءت شريعة الاسلام بهذه الامور؟ أمن تلك الاقوام الجاهلية ام من سواهم؟ من مبتكر هذه الاشياء من السابق اليها اليس الجاهلية فاذا كان العرب الجاهلية هم السابقون اليها فما المتأخر في ذلك الا مقتبس مقلد هذا او لا ترى ان ذلك من شأنه اقتياد عقل المسلم الفطن الى القول اذ قد اتضح جلياً ان هذه الشرائع والعادات المسطرة في القرآن كان العرب يدينون بها قبل محمد اما كان الاحرى بالقرآن الاشارة الى مصدرها في اثناء ذكره اياها قائلاً انما هذه شريعة ابرهيم خليل الله وابنه اسمعيل كانت العرب تعمل بها ومصدرها هو الله ولكن القرآن اغفل ذلك لماذا يا ترى؟ ها قد رأينا ان شرع القرآن في امر الصلاة والصيام والحج والزكاة مع كل ما يختص بذلك من المناسك والرسوم واستقبال الكعبة ومحرمات

الزواج من القرابة وتجنب النساء في حال حيضهن وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والاغتسال من الجنابة وتوحيد الله ونفي الاشراك المطلق به هي شرائع وعادات سابقة محمد والقرآن بكثير كان العرب والصابئون يعملون بها الا ترى ذلك على الاقل مدعاة الى الريب بان هذه الاشياء انزلت من الله على قلب محمد لو لم تعرف هذه الاشياء عند تلك الاقوام الا بعد محمد والاسلام كان بالحق يقال انهم انتحلوها لانفسهم من شريعة الاسلام ولكن لما كان الامر بالعكس فماذا ترى وكيف تحكم ان هذه الملاحظات خليقة بالمسلم البصير دون سواه وليس الاغضاء عنها من شأن المتعقل الحكيم وعلى كل ان احوال الزمان تضطر المسلم اللبيب الى اعطاء الجواب الشافي عن هذه الامور ولنتقدم بعد الى النظر في غير ما تقدم من العادات والشرائع المدخلة على الاسلام من الجاهلية

الجمعة

جاء ايضاً في بلوغ الارب «وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية عروبة فسماه كعب بن لؤي بن غالب يوم الجمعة وكان يخطب فيه على قريش وكانت قريش تجتمع اليه في كل جمعة ليسمعوا خطب كعب» (اليوم السادس من الاسبوع) جزء اول وجه ٢٥٠

ملاحظة

لا يشار قط الى هذه الرواية فيما قرأت من كتب المسلمين الدينية والتاريخية وكلما اعلمه من امر الجمعة هو ما ورد في كتاب السيرة النبوية الملكية انه بعد ان هاجر اصحاب النبي الى يثرب (المدينة) وكانت يثرب محاطة

بقبائل اليهود و بعض النصارى ارسل اليه اصحابه يقولون يا رسول الله ان
لليهود يوماً من كل اسبوع يدعى السبت فيه ينقطعون الى عبادة الله تعالى
ويجتمعون جماعة في مساجد خاصة لهم لقراءة التوراة و الصلاة و الوعظ وكذلك
للنصارى يوم الاحد يجتمعون فيه للعبادة والصلاة في محلات خاصة ونحن
المسلمون لا يوم لنا خصوصي نجتمع فيه لعبادة الله تعالى اسوة باهل الكتاب
اليهود والنصارى فجابهم متى كان اليوم الذي يليه السبت اجتمعوا جماعة في
مكان مخصوص للصلاة والقاء الخطب الوعظية فيكون لكم هذا اليوم يوم جمعة.
ومن ثم كنت افتكر ان الجمعة وضع محمد حتى رأيت في بلوغ الارب انه وضع
كعب بن لؤي الجاهلي وان قريشاً كانت تجتمع في هذا اليوم لتسمع خطب
كعب ومن ذلك يظهر ان كعباً هذا كان رجلاً فاضلاً وخطيباً مصقعاً جذب
اليه القريشيين ليسمعوا خطبه البليغة المفيدة في كل يوم جمعة ولا بد لنا من
نظرة دقيقة في جمعة كعب هذه او جمعة الجاهلية في مكة هل هم في ذلك
مولدون او مقلدون فان كان الاول فذلك دليل على سمو نباهتهم ووفرة ذكائهم
اذ رأوا حاجتهم الى تخصيص يوم من كل سبعة ايام لاجتماعهم فيه لاجل
سماعهم الخطب النفيسة و المواعظ المؤثرة لاجل تهذيب النفس وترويض العقل
وتمكين علائق الالفة و الوحدة القلبية بين الافراد والجماعات وهجر الضغائن
والاحقاد. ونبذ ذرائع التشقق والنفرة والاحتفاظ بالخلال الشريفة والعادات
الحسنة كالعفاف وصيانة العروض والامانة و الوفاء والكرم وحسن الضيافة وتأمين
الخائف و جارة المستجير وان كان الثاني اي انهم هم مقلدون عادة قديمة في
قبائل الشرق او جيرانهم اليهود والنصارى بافرازهم يوماً لله من كل سبعة ...

للراحة من عناء الاعمال والمهام الدنيوية والانقطاع لعبادته تعالى وقراءة كتابه والاجتماع فيه لسماع الخطب والمواعظ لتقويم اود النفس فذلك دليل على سمو المبدأ العربي واقتدار العرب على انتقاء الاحسن وتقليد الافضل من عادات الامم . ولنا ايضاً هذه الملاحظة وهي كما ان العرب لم يفقدوا بتة معرفة الله اله الالهة ورب الارباب ولا روح شرائعه المقدسة الناهية عن المنكر والآمرة بالاحسان والمعروف لم يفقدوا الى التمام روح شريعة السبت المرعية من اعرف الامم في المدنية والقدم كما بدا مؤخراً من الآثار الخطيرة التي اخرجت من خرابات اعظم مدائن الشرق كبابل ونينوى ومما ورد في مجلة المقتطف جزء سابع من سنة ١٩٠٣ وجه ٥٦٦ هذا ولا غرو ان قريشاً رأت لها مصلحة كبيرة وفائدة عظيمة من الجمعة ولا يبعد ان محمداً وهو فتى حديث السن كان يجتمع مع قومه هذه الجمعة واذ كانت تلوح عليه مخايل النجابة والنباهة وقع ذلك منه موقع الاستحسان والظاهر انه رغب في هذه الجمعة لتكون جمعة في الاسلام ولكن احواله في مكة لم تمكنه من ذلك فيها فارجأها الى ان امر اصحابه بها في المدينة اسوة باليهود والنصارى جيرانهم اذاً محمد اثبت في دينه جمعة قومه قريش كما اثبت عمرتهم وحجهم. تأمل

عاشوراء

جاء في بلوغ الارب ان قريشاً في الجاهلية كانوا يصومون عاشوراء وكانوا يعظمون هذا اليوم بكسوة الكعبة ويقال ان قريشاً اذنبت ذنباً في الجاهلية فعظم ذلك في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك عنكم جزء ثاني وجه ٣١٨

وروي ان محمداً قدم يوماً الى المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هو اليوم الذي اظهر الله فيه موسى و بني اسرائيل على فرعون فقال محمد نحن اولى منكم بموسى حديث الصحيح لمسلم مجلد ثالث وجه ١٠١

ملاحظة

للقارئ العزيز في مسئلة يوم عاشوراء المعتبر من المسلمين كعيد مقدس ثلاثة امور جديرة بالالتفات والاعتبار

(الامر الاول) ان قريشاً اتخذت هذا اليوم عن اليهود جيرانهم

(الامر الثاني) ان نبي الاسلام اتخذ يوم عاشوراء هذا من قومه في مكة ومن يهود المدينة

(الامر الثالث) ان نبي الاسلام اتخذ هذا اليوم من اليهود مزيفاً

فاقول في الامر الاول انه لدى مقابلة ما جاء في كتاب بلوغ الارب وهو ان قريشاً اذنبت ذنباً في الجاهلية فعظم ذلك في صدورهم فقيل لهم صوموا يوم عاشوراء يكفر ذلك عنكم معما جاء في التوراة بخصوص هذا اليوم المدعو من الله يوم الكفارة او التكفير عن خطايا بني اسرائيل انظر سفر اللاويين اصحاح ١٦ لا يبقى محلاً للريب ان اليهود هم الذين اشاروا على القرشيين بصوم هذا اليوم «عاشوراء» للتكفير عن ذنبهم الذي احرج صدورهم اذ ليس من امة سوى امة اليهود لها في شرع الله في كتابه يوم كفارة في السنة عن الذنوب والخطايا وليس لهذا اليوم اسم عاشوراء في التوراة بل عاشر يوم من الشهر ولعله اطلق عليه اسم عاشوراء من يهود العرب

واقول في الامر الثاني وهو ان نبي الاسلام تخذ يوم عشوراء هذا عن قومه في مكة وعن يهود المدينة وليس في ذلك نص قرآني فهو اذاً بمعزل عما يقال انه وحي الله وعليه الا يدل هذا على ن نبي الاسلام ضم لى مذهبه شيئاً كثيراً من العقائد والعادت الجاهلية واليهودية لانه ن جز ن يتخذ هذا اليوم عن قومه قريش ويهود المدينة جز ان يتخذ عنهم وعن غيرهم كثيراً من الشرائع والعادات

واقول في الامر الثالث وهو ان نبي الاسلام تخذ هذ اليوم عن اليهود مزيفاً اي على غير وضعه من الله وعلى غير وقته وعلى خلاف نية واضعه الله فيه كما سترى . اذ لما سألهم عن سبب صومهم هذا اليوم الذي اظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون وقد كذبوا في ذلك عمداً وجهلاً . لان اليوم الذي رسمه الله لبني سرائيل تذكاراً لتحريره ياهم من عبودية فرعون واخراجه ايهم من ارض مصر انما هو يوم الفصح المقدس في اليوم الخامس عشر من شهر ابيب اي شهر نيسان كما ترى في التوراة انظر سفر الخروج اصحاح ١٢ لا يوم الكفارة الذي لا علاقة له البتة باظهار الله موسى وبني اسرائيل على فرعون بل هو يوم من الله للتكفير عن خطايا الشعب نظام خصوصي في اليوم العاشر من الشهر السابع الموافق لشهر تشرين الاول كما يقول الله «ويكون لكم فريضة دهرية انكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم... لانه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم امام الرب تطهرون . سفر اللاويين اصحاح ١٦ عدد ٢٩ و٣٠» وهو سبب ما قيل انه قيل لقريش صوموا عاشوراء يكفر ذلك عنكم . انظر يا اخي انظر كيف ان نبي

الاسلام اعتبر هذه الرواية الباطلة من يهود المدينة متخذاً اياها على محمل الصدق وهكذا ادخل يوم عاشوراء في مذهبه الاسلام مزيفاً فهل ذلك شأن انبياء الله وكيف وهو نبي لم ينتبه لهذا الخطأ فيما بعد ولم ينبهه الله عليه اما بالوحي او بلسان جبريل كما قيل ان جبريل ارجعه عن خطأه في مديحه اللات والعزى ومناة آل قريش في درج قرآءته سورة والنجم اذ هوى وبناء عليه أيبعد عن العقل انه قبل ايضاً منهم اشياء كثيرة من قصص وروايات لا تنطبق البتة على نصوص التوراة وسطرها في قرآنه كحقائق لا مراء فيها كما سترى فيما يأتي اولا ترى ان هذه المسئلة هي من القوادح في نبوة نبي الاسلام واني للمسلم المغرم في الاسلام المخرج من دائرة هذه الوصمة

ثم اني الفت نظركم الى قول محمد لليهود الذين اخبروه زوراً عن يوم عاشوراء اذ قالوا له هو اليوم الذي اظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون (نحن اولى منكم بموسى) لا ترى ان هذا القول في غير محله من وجهين الاول ان مراد اولئك اليهود بتعليلهم عن يوم عاشوراء انه هو اليوم الذي اظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون بان اعتبارهم هذا اليوم بصومه كعيد تذكاري لحادث تاريخي عجيب احدثه الله لآبائهم فهو اذاً يوم تذكاري خص باليهود لا سواهم فلا علاقة لمحمد واتباعه فيه فاي باعث اذاً لقوله لهم «نحن اولى منكم بموسى»

الوجه الثاني هو ان موسى من بني اسرائيل فهو محررهم وقائدهم ومشترعهم فلا احد اولى به منهم وبعد اي فائدة اليوم لليهودي او المحمدي من شخص موسى وهو قد مات ومضى الى الله ربه انما الفائدة هي من استماع

كلام الله بفم موسى والانبياء والعمل به فلو قال محمد لاولئك اليهود نحن اولى منكم بشرع موسى او نحن نظيركم ندين بشرع الله عن يد موسى والانبياء كان ذلك اقوم واحكم فالفائدة للانسان اذا رامها انما هي استماع كلام الله عن يد انبيائه ورسله الباقي لنا نور وهدى في كتابه للقيام به لا باسمائهم واشخاصهم وآثارهم فتأمل

تطييب الميت والصلاة عليه وحظ الذكر مثل الانثيين

قيل ان اول من طيب الميت بالحنوط مقسم بن بهر القضاعي واول من صلى على الميت عطبرة بن صعب السكسكي واول من قسم للذكر مثل حظ الانثيين عامر بن جهم الجهمي بلوغ الارب جزء اول وجه ١٨٤

ملاحظة

لننظر في كل هاته القضايا على حدتها. ان تطييب الميت بالحنوط العطرية ليس هو قضية شرعية من قضايا شرع الله في كتابه بل هي عادة مدنية استحسنت من اولي التمدن عند اشهر الامم المدنية ولا بأس بها وهي عادة شعب الله القديم بني اسرائيل وربما اخذوها عن المصريين ايام اقامتهم في ارض مصر او ربما كانت معروفة عندهم من ايام ابيهم ابرهيم ويرى بالبصيرة انه كان لذلك عندهم باعثان اكرامي وطبي الاول اكرام للميت العزيز كرشه في ايمنا بالروائح والعطور الذكية ووضع اكاليل الازهار على تابوته وضريحه وطبي وهو دواء للمضرة من رائحة مرض الميت وفساد بعض جثمانه وفساد الهواء من انفاس المزدحمين عليه (حسب العادة الشرقية المستهجنة) ولقد غالى المصريون

في ذلك الى ابعد الغايات لحفظ جسد الميت من الانحلال دهوراً عديدة او الى يوم النشور. اما الصلاة على الميت فهي ايضاً لا رسم لها ولا اشارة في كتب انبياء الرحمن ولا يرى ان احداً من انبياء الله ورجله الاقدمين مارسها مرة ما ذلك لاعتبارهم حسب نص الكتاب ان الانسان سيجازى من الله في اليوم الاخير خيراً او شراً على ما كان منه في حياته الدنيا. ولعل عطبرة المذكور استحسن ذلك من عند نفسه رأفة بالميت او اتخذ ذلك عن الفرس والهنود الذين بعثهم الى ذلك اعتقادهم خلود النفس والثواب والعقاب في العالم الاخير رجاء حصول بواسطة الصلوات عليه ولاجله على عفو الله او تخفيف عقابه او اخراجه بعد حين او سنين من جحيم عقابه قياساً على امور الحكام والمحاكم الارضية. وقسمة عامر الجهمي للذكر مثل حظ الانثيين هو رأيي معقول وشرع مستحسن في المشرق فاسأل النبيل الحر اذا وجدت هذه القضايا في القرآن بعد وجودها في الجاهلية قبل محمد والقرآن فماذا يرى العقل من هذه الجهة وكيف يحكم. ولنضرب لذلك مثلاً اذا عثر زيد على كتاب فلسفي نفيس في بابه غير معروف في بلاده ولا بين قومه فخطه بقلمه مع شيء من التصرف في بعض جمله وادعاه لنفسه وصدقه في ذلك قومه لانه من اولي العلم والمعارف والوجاهة ثم بعد حين ظهر ان هذ الكتاب هو تأليف فلان الفيلسوف الافغاني او الهندي بلغة بلاده ومترجم الى لغات عديدة من لغات العالم فهل يبقى في قلوب الناس اعتبار لدعوى ذلك المنتحل المدعي لا بد ان تجيب كلا وعلى هذا القياس اقول لا بد ان يخامر قلب المسلم اللبيب الريب في امور وشرائع جاء قرآن الاسلام بها مدعياً انها انزال الله على محمد اذا تأكد

له انها كانت معروفة عند الجاهلية ومعمول بها قبل ان يولد محمد بكثير او قليل ولا مهرب من ذلك

التكبير (اي الله اكبر)

قد اتضح ان العرب كبروا الله في بعض الاحوال قائلين (الله اكبر) بناء على اعتقادهم وجود اله في السماء او الله اكبر من كل الالهة هو الهها وربها، وهم اعوانه وعماله في ارضه من ذلك ما جاء في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب «وقد قيل في اقتراع عبد المطلب الهاشمي على ابنه عبدالله والابل الذي كان قد نذر ان يقربه ضحية لله ثم اشار قوم عليه بفتداء ابنه بمئة من الابل وان الذي تقع القرعة عليه يذبح لله ففعلوا ولما خرجت على الابل ونجا عبدالله صاح الله اكبر وكبرت قريش مع عبدالله جزء ثاني وجه ٢٤٠ و٢٤٦»

ملاحظة

ما تكبير الله هكذا «الله اكبر» من العرب الجاهلية الا افراده تعالى في العظمة والقدرة والسلطة على ما سواه من الالهة والذي يعقل انه لو لم يكن من عادة القرشيين ان يكبروا الله هكذا في بعض الاحوال ما كبره عبد الله حين افرج عنه بالافتراع ولا تبعه قومه في ذلك قائلين بصوت واحد الله اكبر اذاً تكبير الله هكذا ليس هو من الاسلام بل مبدأ فيه انما زيد عليه كلمة التوحيد «لا اله الا الله» ولدى تدبر المسلم في هذا الامر يرى ان تكبير الله بكلمة الله اكبر جدير بالعرب المشركين لا بالمسلمين الموحدين لما ان لاولئك الهة عديدة كاللات والعزى ومناة وسواها وعندهم الله عظمها واكبرها ولما كان

للمسلمين كلمة التوحيد «لا اله الا الله» كانوا في غنى عن كلمة الشهادة الاولى «الله اكبر» لان الاجهار بها يتضمن بالطبع كما لا يخفى الفكر وجود الهة اصغر وان لم يكن ذلك اعتقاد المسلمين . لان قولنا مثلاً في شيء هو اكبر يدل على وجود اصغر فقولك مثلاً في ابنك هو اكبر او الاكبر دل قولك هذا على ان لك ابناً اصغر او ابناء ومثل ذلك قولك البيت الاكبر دليل على وجود بيت او بيوت اصغر بقربه دون اكبرها ومعلوم ان الامم الوثنية كالمصريين واليونان والرومان والكلدان والعرب اتخذوا لهم آلهة عديدة اختلقتها لهم مخيلتهم واوهامهم ومع اعتقدوا باستدلال العقل بوجود ذات الهية هي اكبر واعظم من كل الآلهة سماها اليونان جوبيتر والعرب الله والكلدان بعل وهم يعلمون ان كل الآلهة دونه اعوانه وعماله في كونه وسياسة خلقه قياساً على نظام السلطة في العالم كما رأيت في امر التلبية في الجاهلية بقولهم «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك وما ملك» فقد كانوا موحدين ومشركين في آن واحد شركة حسب فكرهم لا تنفي وحدانية الله وكماله ولا تحط من قدره لان هذا الشريك او الشركاء مما يملكون ملك يمينه له ان يفعل بهم ما شاء وهو الذي قد اشركهم معه في ادارة كونه وسياسة خلقه ومما يزيدك بياناً لاعتقادهم بالله الاعظم كعلة العلل استهلالهم صكوكهم وعقود عهودهم «باسمك اللهم» كما كان امر القرشيين مع محمد استهلال صك عهدة صلح الحديبية ظاهر مكة بينهم وبينه وذلك انه لما امر محمد علياً بكتابة تلك العهدة واستهلها علي بالبسملة الاسلامية «بسم الله الرحمن الرحيم» انكر القرشيون ذلك وقالوا لعلي لا نعرف هذا اكتب «باسمك اللهم» فقاطع علي محمد فامره ان يفعل لهم ما طلبوا

وايضاً من تسمية بعضهم بعبد الله كعبد الله ابي محمد والخلاصة ان اسم الله كاعظم واكبر الالهة كان معروفاً عند العرب قبل محمد وان تكبير الله بفم نبي الاسلام واصحابه واتباعه حتى اليوم هو من اصل جاهلي ولا أرى هذه الشهادة التكبيرية حرية بالمسلم وهو موحد لانها فضلاً عن كونها تحصيل حاصل هي كما نوهنا تتضمن وجود اله او آلهة اصغر فهي تحسن بالجاهلية لا بالمسلمين ومهما اجهد الشراح قرائحم بشرح كلمة الله اكبر لا يقدرون ان يبرهنوا لزوم ذلك ومناسبته في الاسلام ولعل محمداً في بدء الاجهار بدينه رأى ان لا بأس من استعمال كلمة الله اكبر في الشهادة لله كعادة قومه وهي كلمة حق وان ذلك يقربه من قلوبهم اذ يتبينوا منها ان روح الاسلام ليس ببعيد عن روح دينهم وان ذلك من الوسائل الحسنى لاستمالة قومه قريش اليه والى مذهبه وذلك من الحكمة بمكان فما حسن في ذلك اليوم لا اراه يحسن بالمسلمين فيما بعد

الاشهر الحرم

في دين الاسلام محرم القتال والقتل والثار تحريماً مطلقاً في الاشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم مهما كانت الدواعي الى ذلك فهل ذلك من الاسلام او من العرب الجاهلية قبل الاسلام انه لواضح من كتاب السيرة النبوية ان لاشهر الحرم المذكورة كانت مشروعة عند العرب قبل محمد ومعمول بها منهم بدليل ما ورد فيه ان النبي ارسل يوماً سرية بامرة عبد الله ابن جحش الاسدي الى مكان يدعى نخلة ليرصد عيراً لقريش قادمة من الشام ولما وصلت العير الى هذا المكان ورأى عبد الله المذكور ان لا قبل له

برجال العير عمد الى الحيلة وامر رجاله ان يحلقوا رؤوسهم وهو من الاعتمار فلما راهم رجال العير حالقين رؤوسهم اطمأنوا من نحوهم وقلوا لبعضهم لا تخافوهم هم معتمرون ولما حلوا وهم مطمأنون هجم عليهم عبد الله برجاله على غرة منهم فقتلوا ما قتلوا واسروا ما اسروا وغنموا محمول العير واتوا بذلك محمداً وكان ذلك في آخر رجب الحرام فارسل قريش من مكة يعيرون محمداً بانه ارتكب رجاله القتل في الشهر الحرام ووقع ذلك في نفوس اصحاب محمد الخ (والقصة معلومة) وايضاً من النص في القرآن «فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» سورة محمد آية ٤

وقد جاء في بلوغ الارب في احوال العرب ما نصه «ان الاربعة الاشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم كانت محرمة عند الجاهلية حرموا فيها الغارات والثأر والحرب والقتال والشجار فكان الرجل منهم في ايام الاشهر الحرم يلتقي بعدوه قاتل ابيه او اخيه فلا يتحرج له بشر . . . كانوا يتحرجون في هذه الاشهر الحرم من القتال وكانوا لا يغيرون فيها ولا ينصلون فيها الاسنة اي ينزعون اسنة الرماح منها علامة تجنب القتال لاي سبب كان جزء ثاني وجه ٣١٩ وجزء ٣ وجه ٧٦»

ملاحظة

يا ترى من لا يستحسن هذه الشريعة والعادة الحميدة التي جرى عليها العرب النبهاء وصدق عليها الاسلام ويا ليت عرب البوادي ومسلمو هذه الايام محتفظون بها أرى انه يسوغ للمسلمين ان يجردوا السيف في امر الدفاع عن

حوزتهم لصد عدو مهاجم في ايام الاشهر الحرم لكن لا يسوغ قط لهم اشهار الحرب على غيرهم والغارة على عدو لهم والفتك بعدو لهم لقوه في ايام الاشهر الحرم فضلاً عن انه لا يجوز لهم الايقاع بعضهم ببعض في هذه لاشهر فهل هم فاعلون ذلك ؟ ولا يكون مارقاً من الدين من يتعمد القتال والقتل منهم في هذه الاشهر الحرم بلى. لا يعلم متى كان هذا الشرع في الجاهلية ولا من شرعه ولعل مشترعه رؤساء قبائل العرب بالاجماع الذين سئمت انفسهم من كثرة الحروب والغارات لما رأوا في ذلك من مصلحة الامة والبلاد وتعاهدوا وتحالفوا على القيام به ما دام للعرب وجود ولا يبعد انه كان عندهم لذلك ثلاثة بواعث

(الباعث الاول) الحج الى الكعبة وحرمة البيت في مكة الذي اعتبروه بيت الله ليكون السلام والامان العام تمهيداً الى حج البيت من العموم في كل انحاء بلاد العرب وليكون السلام التام بين الجماهير المحتشدة في مكة وضواحيها ليأتونها بسلام ويحجون ويتجرون بسلام وطمأنينة ويعودون الى اماكنهم بخير وسلام

(الباعث الثاني) هو لانه في كذا هدنة طويلة بين المتعادين قد يحصل تسوية ومصالحة بينهم اذ يكونوا في اثنائها قد ذاقوا السلام واختبروا فوائده العمرانية فلا يعودون الى العدوان والحرب المشؤمين بعد انقضاء الاشهر الحرم ولتكون مثل هذه الهدنة فرصة سانحة لعقلاء العرب ودعاتهم محبي السلام على توسط الصلح وجمع القلوب بين المتعادين بخطبهم البليغة ومواعظهم الفصيحة المؤثرة

(الباعث الثالث) هو ان الضعيف الخائف من بطش وفتك غريمه القوي قد يتلافى امره في اثناء هذه المدة اما بالتسوية والمصالحة بينهما ان امكن او

بالمهاجرة الى حيث يأمن غائلة عدوه ذلك فضلاً عن انه بطول هذه المدة ثلث السنة قد تكسر سورة الغضب وتخمد نوعاً جمرة الاحقاد والضغائن من نفوس المتعادين فيسهل ثم على محبي السلام والخير العام عقد صلح بينهم فيا لنعم الشرع والعادة وهي تعد محمدة للعرب من اجل المحامد امتازوا بها كما اظن على من سواهم من امم العالم مزية ميزة يحفظها لهم التاريخ وتثني عليهم لاجلها الاجيال مدى الدهور وهي لهم كيو بيل سنوي قدتهم اليه العناية الربنية . فترى ايها العزيز ان الاشهر الحرم ليست من الاسلام بل ضمت اليه كما ضم غيرها ولا بد للمسلم الدين من الاسف ان اول من بدأ بخرق ناموس الاشهر الحرم في الاسلام نبي الاسلام و بعض اصحابه كما رأيت فيما مر في مسئلة سرية عبد الله ابن جحش الاسدي خلافاً للنص الوارد في سورة التوبة « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (آية ٥) وعليه ألا ترى ان العرب الجاهلية كانوا احرص من نبي الاسلام والمسلمين على اعتبار حرمة الاشهر الحرم مع عدم ادعائهم ان شرع الاشهر الحرم انزل عليهم من الله . تأمل

المصدر الثالث

اليهود

امر غني عن البيان ان من مصادر الاسلام الاولية هو اليهود وذلك الدليل على ذلك النص « يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوفِ بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقاً لما معكم . . . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقاً لما معهم » (سورة البقرة آية ٣٩ و٩٩) من المعلوم

الاكيد ان عدة قبائل يهودية متعربة او عرب متهودة كيهود خيبر و بني النضير و بني قريظة و بني قميقعان كانوا متوطنين بجوار يثرب المدينة التي هاجر محمد واصحابه اليها وقد كانوا اصحاب منعة ووجاهة وغنى وكان لبعضهم كبني قريظة حلف مع الاوس والخزرج سكان المدينة قبل ان صاروا انصار محمد و بعد ان قدم محمد المدينة مهاجراً عقد عهداً مع هاته القبائل او بعضها على ان لا يكون بينهم و بينه عدوان ولا قتال بل سلام ووئام دائمان وطبيعي كان بينهم و بينه مصادقة ومعاشرة كما يلوح لك من كتاب سيرة محمد ومن عدة نصوص قرآنية ومن انحياز بعضهم اليه والدخول في دينه ولان كلا من الفريقين كان يطمع باجتذاب الفريق الاخر الى مذهبه و بالضرورة كان يجرى بين الفريقين محادثات دينية شرعية وتاريخية ونبوية ولان محمداً كان امياً كما يزعمون كان ولا بد يسألهم مسائل كثيرة من هذا القبيل وهم بسرور يجيبونه عليها حسبما يعلمون و يقصون عليه كثيراً من سير الاباء والانبياء وملوك بني اسرائيل ولأن يهود الحجاز متعربون منذ اجيال عديدة وربما اكثرهم من العرب متهودون كما جاء في القرآن «والذين هادوا» يعني تهودوا كان معظمهم اميون يجهلون حقائق التوراة وليس لهم من ذلك الا ما اتصل اليهم من السلف باللسان والسمع كانت ولا بد تلك السير والقصص الكتابية التي كانوا يقصونها عليه مختبطة ومشوبة بتحشيات غريبة وقضايا خرافية وتباين واختلاف بحسب تباين واختلاف عقول اولئك اليهود ودرجة افهامهم فكان هذا وذاك من هؤلاء اليهود يقصون على نبي الاسلام ما في حافظتهم من تلك القصص والسير فاتت كما ترى في القرآن وسترى فيما يأتي في هذه الرسالة على تباين واختلاف وزيادة

ونقصان بين سيرة وسيرة وقصة وقصة مما كثير منه مناف كل المنافاة للنقل والعقل ولا غرو ان المسلم النبيه لدى تدبره هذه الامور في القرآن او مقابلتها على الاصل في التوراة سواء كان ذلك في العربية ام العبرانية يحار في ما يرى من وجوه الاختلاف اللفظي والمعنوي والزيادة والنقصان بين هذا وذاك ويظهر لك من نفس القرآن ان محمداً كثيراً ما ارتاب بكون هذه القصص التي تلقى اليه سواء كان ذلك من اهل الكتاب او من المدعو جبرائيل انها انزال الله عليه لما قد رأى فيها من التضارب والتدافع والخلاف فكان اليه النص «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» (سورة يونس آية ٩٢) يعني يهود ونصارى ايمه مجاوريه انظر لا يقول ان كنت في شك مما انزلنا اليك فانظر في كتابنا الذي انزلناه من قبلك على عيسى وموسى وما بينهما من انبيائنا لا بل اسأل الذين يقرأونه الا يتأتى للعقل ان هذا النص كان بفم ذلك المدعو جبرائيل الذي سبق فقص عليه اكثر تلك القصص المختبئة وانه رسله ثم الى اشخاص خصوصيين من اليهود او اليهود والنصارى ويصدقوها له ويقولون له هي كذا في التوراة والانجيل فيا ايها القارئ العزيز انه لامر جلي ان في القرآن كما ترى كثيراً من اخبار وسير الآباء والانبياء الاولين وبني اسرائيل ممزوجاً من صحيح وفسد اصلي ودخيلي فضلاً عما ترى بينهما من الاختلاف والتضارب المنزه عنه كتاب الله واذ لا يسعنا في هذه الرسالة ايراد كل من تلك الاخبار والسير نجتزئ بذكر بعضها كمثال للقارئ اللبيب لما لم يذكر

الاولى

قصة يوسف

من الاختلافات في سورة يوسف عن قصته في التوراة

انك ترى في سورة يوسف هذه بالغ الاختلاف والمنافاة لقصته الاصلية في التوراة عدا ما فيها من الاشياء التي لا اشارة ولا لمحة اليها في التوراة

(الاختلاف الاول) جاء في هذه السورة ان اخوة يوسف طلبوا من ابيهم اسرائيل ان يرسل معهم اخاهم يوسف فاجابهم الى طلبهم وهاك النص «قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غداً يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذاً لخاسرون فلما ذهبوا به» (آية ١٠—١٤)

وفي التوراة بعد ان ارتحل اخوة يوسف بغنمهم من حبرون حيث كان ابوهم ساكناً الى شكيم التي تبعد عن حبرون مسافة يومين شمالاً ربما بعد ذلك بعدة ايام بحيث ان قلب ابيهم اضطرب عليهم ارسل ابنه يوسف ليتفقدهم ويرد عليه الخبر كما نقرأ في التوراة «فقال اسرائيل ليوسف . أليس اخوتك يرعون عند شكيم تعال فارسلك اليهم فقال له هانذا الخ» (تكوين ٢٧:١٣—١٧)

(الاختلاف الثاني) في السورة ان يوسف هم بمرأة سيده كما هي همت به. النص «وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك

قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه الخ» (آية ٢٢ و٢٣)

وفي التوراة ما مؤداه انها راودته كثيراً عن نفسه فابى وقل لها انك امرأة سيدي. فكيف اصنع هذا الشر العظيم واخطئ الى الله وبعد حين وهو في البيت بشغله امسكته بثوبه قائلة اضطجع معي فترك ثوبه في يدها وخرج الى خارج تكوين ٣٩:٧--١٤

(الاختلاف الثالث) ان تلك المرأة قدت قميص يوسف من دبر (اي قفاه) سورة يوسف آية ٢٤ وفي التوراة حسبما تقدم اعلاه «امسكته بثوبه ... فترك ثوبه في يدها وخرج الى خارج فلا قدته ولا مزقته والذي يرى ان ثوب يوسف هذا ليس هو قميصه الملامس بدنه بل رداءه او جبته

(الاختلاف الرابع) الزعم ان يوسف عرف اخاه بنيامين بنفسه على حدة قبل بقية اخوته «ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون» (آية ٦٩—٨٦)

هذه الرواية بخلاف ما جاء في التوراة ان القصة في التوراة هي خلاف رواية القرآن على خط مستقيم كما ترى ان يوسف أبقى عنده شمعون في المرة الاولى لنزول اخوته الى مصر كرهن حتى يأتوا اليه باخيهم الاصغر فلما نزلوا المرة الثانية ومعهم بنيامين اكرمهم يوسف ولم يذكروا انه اسر الى بنيامين انه هو اخوه بل عرَّف يوسف كل اخوته بنفسه بعد وجود الطاس في عدل بنيامين وارجاعهم الى يوسف . وهاك ملخص القصة «حين كانوا خارج المدينة راحلين ادركهم رسول يوسف وقال لهم لماذا جازيتم شراً عوض خير

(سرقتم طاس سيدي) أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه . فقالوا .... حشا لعبيدك ان يفعلوا مثل هذا الامر ... ففتش في عدالهم فوجد الطاس في عدل بنيامين فرجعوا الى يوسف صاغرين مذلين مستغفرين و بعد ان استرحم احدهم (يهوذا) يوسف بخطاب بليغ مؤثر طالباً منه اخلاء سبيل الولد رأفة بابيه الشيخ وضناً بحياته وانه هو عوضاً عنه يبقى عند السيد عبداً له. حينئذ لم يستطع يوسف ان يضبط نفسه فصرخ اخرجوا كل انسان عني ولما خلا باخوته اطلق صوته بالبكاء وقال لاخوته انا يوسف . أحي ابي بعد فلم يستطع اخوته ان يجيبوه لانهم ارتاعوا منه فقال يوسف لاخوته تقدموا اليَّ فتقدموا فقال انا يوسف اخوكم الذي بعتموه الى مصر والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لانكم بعتموني الى هنا الى آخر المقال» (تكوين ص ٤٤ من اوله الى العدد الخامس عشر من اصحاح ٤٥) فكل هـذا كان في المرة الثانية لنزول اخوة يوسف الى مصر لا في الثانية والثالثة كما تقرأ في القرآن وليس للآية ٨٨ و٨٩ من السورة اصل ولا فصل في التوراة وهو قول يوسف لاخوته كما يزعم القرآن «قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالو أانك لانت يوسف قال انا يوسف وهـذا اخي قد من الله علينا الى آخره» اما في المرة الثالثة فكان نزولهم الى مصر بابيهم ونسائهم واولادهم حسب امر يوسف. فتدبر اما الاشياء التي في سورة يوسف التي لا اشارة لها ولا رسم في التوراة نأتي باشهرها وهي ثلاثة

(الاولى) امر النساء اللايمات امرأة العزيز على شغفها بيوسف ومراودتها اياه عن نفسه ودعوتها اياهنّ الى منزلها واتكاءهن على المائدة واتيانها كلاً

منهن بسكين وادخالها يوسف اليهن ولاندهاشهن من جماله وحسنه الباهر قطعن ايديهن بتلك السكاكين التي بايديهن وقلنا حاشا لله ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم» (السورة آية ٢٩ و٣٠)

(الثانية) سؤل ملك مصر يوسف عن حادثة تلك النساء ثم توجيهه السؤال اليهن وغب الجواب الحق منهن اعتراف امرأة العزيز بذنبها. والنص «فاسئله ما بل النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم. قل ما خطبكن اذ رودتن يوسف عن نفسه. قلن حشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و نه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب و ن الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ن النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم» (السورة آية ٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢)

(الثالثة) ارسال يوسف قيصه مع اخوته ليلقوه على وجه ابيه فيبصر وفعلهم ذلك فارتد اسرائيل بصيراً. النص «اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأتي بصيراً . . . ولما فصلت العير قل ابوهم ني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون. قلوا تالله نك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيراً قال لم قل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون» (السورة آية ٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥)

لا ترى ايها القارئ العزيز ان هذه الاشياء وامثالها في القرآن التي لا اصل لها في كتاب العزيز الرحمن انها وضع الواضعين من الناس تجوز مثل التحشيات لمؤلفي الروايات لاجل زيادة تأثير السامعين ودهشتهم وان لم يكن

يلمع اليها في الاصل على انه كل من يقرأ قصة يوسف في التوراة مسلم وغير مسلم يشعر من نفسه بحلاوة زائدة وتأثير قلبي عميق لا يكاد يمسك عينيه عن ذرف الدموع ما لا يتحصل من قصته في القرآن ولكن تحشيات كهذه لا تعتبر انزالاً من الله روحياً

في قصة يوسف في القرآن النصين الآتيين «وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون» ثم النص التالي «ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين» (آية ٢٣و٢٤)

ملاحظة

انظر لا ترى ان هذين النصين اللذين يتلو احدهما الآخر بعيدين عن الموافقة لما ان النص الاول يبين تقوى يوسف و بعد نفسه عن اتيان الفحشاء والنص التالي يعلن انصياعه الى تلك العاهرة حتى هم على الاضطجاع معها . فما ابعد هذا النص عن مجرى قصة يوسف في التوراة وهاك نصها بهذا الشان «وحدث بعد هذه الامور ان امرأة سيده رفعت عينيها الى يوسف وقالت اضطجع معي فابى وقال لامرأة سيده هوذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ما له قد دفعه الى يدي ولم يمسك عني شيئاً غيرك لانك امرأته فكيف اصنع هذا الشر العظيم واخطئ الى الله . . . ثم حدث نحو هذا الوقت انه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن انسان من اهل البيت هناك في البيت

فامسكته بثوبه قائلة اضطجع معي .فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج الى خارج» (انظر سفر التكوين اصحاح ٣٩: ٧—١٢) ثم لا اراك تجهل ان عزم المرء على اتيان الفاحشة هو امام الله خطية كخطية اتيانها لا فرق لان الاول خطية النية والقلب والثاني خطية الفعل الناشئة عن خطية النية والقصد واذا كان يوسف هم بارتكاب الفاحشة مع تلك المرأة وردع عن ذلك بواسطة ما من ربه فاي برله واين هو من العفة والتقوى . والخلاصة ان هـذه الرواية في القرآن متضاربة لا وفاق في الزوج بينها ولا هي منطبقة على اصل القصة في كتاب الله المعلنة براءة يوسف وكمال عفته سيرة وسريرة حتى ضرب بها المثل فيقال لله در فلان فانه اعف من يوسف كما يقال ان فلاناً اكرم من حاتم واسخى من يحيى و بناء عليه الا ترتاب بصحة رواية القرآن هذه الا ترى انها موضوعة وان يوسف براء من هـذه الوصمة آه يا اخي حاشا لله ان ينزل على نبي ما كلاماً ينافي كلامه الصريح الذي اوحاه الى عبده وكليمه موسى او لم يجئ في القرآن «ولقد اتينا موسى الكتاب» (سورة البقرة آية ٨٤) فها الكتاب الذي الله اتاه موسى واورثه بني اسرائيل لم يرد فيه قط امر كهذا يشين عفة يوسف الصديق و يسقط من امانته وتقواه فمن اين اذاً هـذه الرواية المنافية للنص الصريح في كتاب الله. تدبر ثم من الغريب في هـذه السورة تقارن النصين السلبي والايجابي فكيف قال في الاول معاذ الله انه لا يفلح الظالمون وفي النص تاليه وهم بها اهكذا يكون الانبياء وهكذا في الحال والسرعة ننتقل من التصريح بالعفة والتقوى الى الهم بنجاسة الخطية . تأمل

الثانية

الزعم بانجاء الله فرعون ببدنه من الغرق في البحر
واهلاكه اياه مع قومه غرقاً في البحر

لقد جاء في سورة يونس «وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون» (آية ٨٩ و٩٠ و٩١)

وفي سورة القصص «وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري . . . واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين» (آية ٣٧ و٣٨ و٣٩)

ملاحظة

انعم نظر المتدبر الحر هلا ترى ان التناقض البين بين النصين لا يدع محلاً لتأويل المأولين ولكن ابى شراح القرآن كالبيضاوي والجلالين الا التعرض الى تأويلهما بغية التوفيق بينهما ولو باسقم تأويل كما هو دأب شراح القرآن في مضايق كهذه اختلاق افكار صبيانية واهية وبعيدة جداً عن مفاد النصوص

الصريحة محاولة ازالة ما يرى من الخلاف والتضاد بينها ولو بوجه اوهى من خيط العنكبوت واليك شرحهم . النص الاول

قل البيضاوي « ننجيك ببدنك » ننجيك جسداً بلا روح اي نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً او نلقيك على نجوة من البر ليراك بنو اسرائيل «لتكون لمن خلفك آية» اي لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل جزء اول وجه ٣٢٠ وشرح الجلالين على هامش الورقة كشرح البيضاوي لا بكلمة لمن خلفك . اي من فراعنة مصر وهو اقرب الى الصحة من شرح البيضاوي

فانظر يا رعاك الله هل ترى طفو جثة فرعون على وجه الماء او القاءها على نجوة من البر ينطبق على القول « فاليوم ننجيك ببدنك » أفي ذلك شيء من النجاة أطفو جثة الغريق المائت على وجه الماء هو نجاة الغريق في اي لغة من لغات البشر وجد مثل هذا التعبير او ليس كل غريق ميت ان لم يبتلع من حيتان البحر او يمسك بصخر ما او عشب يطفو طبعاً على وجه الماء ويقذف بتيار الامواج الى البر فهل يعتبره ذلك نجاة له او لم يرى بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر المصريين امواتاً على شاطئ البحر فهل ذلك في عرف الامام البيضاوي نجاة بلى في عرفه نجاة ولكن من يصدق له ذلك . الم تعلم ايها المسلم النبيه ان كلمة ننجيك ببدنك تختص بشخصية المخاطب روحاً وجسداً فهي قط لا تقبل التأويل وهل سمع عن جثة زيد الغريق الملقاة على شاطئ البحر هامدة لا روح فيها ان هذا المائت غرقاً نجا او ان الله نجاه كلا انما اذا غرقت سفينة في قلب البحر وهلك من فيها من الركاب سوى واحد اما بالسباحة

او على خشبة يقال ان الله انجا هذا الانسان من غرق البحر من دون رفاقه المسافرين معه . فمن لا يضحك من هذا التأويل السخيف غير المعقول ولا مقبول ممن له شيء من البصيرة يا ترى ما الذي الجأهم الى مثل هذا التأويل العديم الاعتبار والمحط بهم كاولي علم وعقل ألجأهم الى ذلك النص الآخر « فاخذناه وجنوده ونبذناهم في اليم » اذ رأوا من ذلك ان فرعون هلك مع قومه في البحر كما يظهر لك ذلك من القول في النص « فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » ومن شرحهم اياه « نبذناهم في اليم طرحناهم في البحر فغرقوا » بيضاوي جزء ٢ وجه ١٣١ مع ان النص كما لا يخفى عليك لا يقطع بهلاك فرعون في البحر مع جنوده اذ هو من المحتمل وهو من وراء جيشه على رقراق من البحر حين رأى البحر اطبق على جنده خاف وادار جواده او مركبته وهرب اذ شاء الله نجاته حسب النص الاول « فاليوم ننجيك ببدنك » لكن يظهر ان عموم المسلمين يرون من سياق النص ولا سيما من شطره الاخير « انظر كيف عاقبة الظالمين » ان فرعون الطاغية هلك لا محالة مع قومه في البحر ومن ذلك ما ترى في تاريخ ابن الاثير قال « ودنا فرعون واصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته والطرق فيه فقال لاصحابه الا ترون الى البحر قد فرق مني وانفتح لي حتى ادرك اعدائي فلما وقف فرعون على افواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبرئيل على فرس انثى وديق فشمت الحصن ريحها فاقتحمت في اثرها حتى اذا هم اولهم ان يخرج ودخل آخرهم امر الله البحر ان يأخذهم فلتطم عليهم فاغرقهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم وانفرد جبرئيل بفرعون يأخذ من حمأ البحر فيجعلها في فيه وقال حين ادركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو

اسرائيل وغرق فبعث الله اليه ميكائيل يعيره فقال له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . وقال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وسلم « لو رأيتني وانا ادس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة ان يقول كلمة يرحمه الله بها »[١] فلما نجا بنو اسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق فدعا موسى فاخرج الله فرعون غريقاً فاخذه بنو اسرائيل يمثلون به جزء اول وجه ٨١ فيظهر للبصير النبيه ان مثل هؤلاء الشراح لما رأوا من خلال النص الثاني في هلاك فرعون غرقاً في البحر مع جنوده خلافاً لمفاد النص الاول لم يسعهم الا ان يلجأوا الى ذلك التأويل الساقط للقول « فاليوم ننجيك ببدنك » محاولة التوفيق بين النصين والجمع بين

---

[١] الا ترى ان هذه الرواية عن جبرئيل ملاك الله هي من الخرافة بمكان لا يخلق بكاتب متعقل كتابتها او التحدث بها أجبريل اتى راكباً فرساً انثى تخيل اهل الدنيا ليغري بها خيل جنود اهل فرعون على اتباعها في طريق البحر اليابسة السائر بها بنو اسرائيل لغاية اهلاكهم ولِمَ ونحن نرى الخيل تقتحم الغمر طوعاً لارادة راكبها فما قولك اذا كانت الطريق ناشفة يابسة واسعة كتلك الطريق وما اسخف القول المزعوم ان جبرئيل قاله لمحمد « لو رأيتني ادس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة ان يقول كلمة يرحمه بها الله » أملائكة الله تمنع الخاطيء من التفوه بكلمات التوبة والاسترحام من الله الرحمن اذلك يعقل وان قيل ان جبرئيل ارسل من الله الى ذلك قلنا وهذا ايضاً غير معقول لانه اذا كان فات وقت توبة فرعون وقد قضي عليه بالهلاك غرقاً في البحر والله قادر ان يخطف روحه بلحظة فلا داعي لارسال جبرئيل ليفعل به ذلك الفعل الامر الذي لا يرى مثله في التوراة ويا ترى من يكون هذا الذي حدّث محمداً بهذا الحديث السخيف وما فكركم به تأملوا

الروايتين فساء فألهم وخاب سعيهم واي مسلم متعقل فاهم وجوه الكلام يعير هذا التأويل شيئاً من الاعتبار وبعد فاقول ان كل مسلم ذكي متدبر ما يقرأ ويسمع يقول في قلبه يا ترى ما علة هذا التناقض بين النصين ولاختلاف البين بين الروايتين في امر النجاة وعدم النجاة واني لا أرى تأويل النص الاول من مؤولي القرآن يستحق شيئاً من الاعتبار وما هو لا هرب معيب من وجه الحقيقة فيا صاحبي مهما جهدت النفس في البحث والتنقيب عن علة هذا التناقض والخلاف بين النصين لا تجد سبباً لذلك الا هذا الآتي ذكره وهو « انه روي على مسمع النبي من يهود مكة او مجاوريها الرواية الاولى ان الله انجاه فرعون من غرق البحر مع جنوده لانه حين رأى الناظر مقبلاً آمن باله بني اسرائيل . . . » فاتخذ محمد هذه الرواية منهم على محمل الصدق وامر بكتابتها في القرآن ثم بعد ذلك بمدة ما ربما ببضعة من السنين قص عليه الرواية الاخرى من يهود آخرين اوفر علماً وذكاء المتضمنة اغراق الله فرعون مع جيشه في البحر فرآها احق من تلك فامر ايضاً باثباتها في القرآن وربما سها عن باله انه امر بكتابة الرواية الاولى فيه . وكأني برواة اليهود قالوا لمحمد عقب سؤاله اياهم عن تلك الحادثة وانه علم ان الله نجى فرعون من الغرق مع جنوده لانه آمن به . . . يا ابا القاسم لا تصدق ما حدثك به اولئك الجهلاء بل ليكن مؤكداً لديك ان الله اهلك فرعون مع جنوده في بحر سوف وهو اولى بهذه التهلكة من جنده لما انه قد رأى آيات الله تعمل بيد عبده موسى ولم يؤمن بالله بل ازداد عتواً وقسوة قلب فهو الطاغية الظلوم المستحق مثل هذا الهلاك في البحر وقد جاء في مزامير النبي داود عن الله سبحانه ودفع

فرعون وقوته في بحر سوف مز ١٣٦ : ١٦ قل نعم وعدل وحق ان يفعل به ذلك . فجاءت الروايتان في النصين متناقضتين مختلفتين كذا لا سبيل الى الوفاق بينهما فقل لي اية روايتين اصح واي النصين هو انزال الله ؟

الثالثة

العجل ذو الخوار والسامري صانعه

يراد بهذا العجل ذلك العجل الذهبي الذي صنعه قوم موسى بنو اسرائيل في سفح جبل سيناء وعبدوه اثناء غيبة موسى عنهم في الجبل اربعين يوماً لمناجاة ربه كما تقرأ في القرآن فقد ورد في القرآن في امر هذا العجل عدة روايات في بعضها ان صانع هذا العجل لبني اسرائيل هو سامري وانه كان لهذا العجل خوار اي هو يخور كالعجل الطبيعي الحي ففي سورة الاعراف هذا النص «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً » (آية ١٤٨)

وفي سورة طه قل (الله) فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري... فرجع موسى الى قومه غضبان اسفاً . قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى . . . قال (موسى) فما خطبك يا سامري قل بصرت بما لم يبصروا به

فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي » (آية ٨٢—٨٦ و٩٢ و٩٣)

التفسير لنص سورة الاعراف

قال في البيضاوي «خوار» صوت البقر وان علة خواره ان السامري كما روي لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبرئيل فصار حياً يخور وقيل صاغه بنوع الحيل فتدخل الريح في جوفه فتصوت جزء اول وجه ٢٦٠ وفي الجلالين «له خوار» ذلك بوضع صانعه السامري في فم هذا العجل الذهبي التراب الذي اخذه من حافر فرس جبرئيل (حشية وجه ٢٦٠)

تفسير نص سورة طه

البيضاوي «قال (الله لموسى) فانا قد فتنا قومك من بعدك» ابتليناهم بعباد العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف وما نجا من عباد العجل منهم الا اثنا عشر الفاً «واضلهم السامري» باتخاذ العجل والدعا الى عبادته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة «ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم» خلاصة تفسير هذه الجملة. ان هذه الحلة المستعارة من المصريين قبل خروج بني اسرائيل من مصر وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراق المصريين فاخذوه ولعلهم سموها اوزاراً لانها آثام لان الغنائم لم تكن تحل بعد «فقذفناها» اي في النار «فكذلك القى السامري» اي ما كان معه منها «فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقال يعني السامري «هذا الهكم واله موسى» .... «قال موسى فما خطبك يا سامري»

اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه «قال بصرت بما لم يبصروا به» وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئاً الا احياه وهو جبرئيل «فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه فنبذتها» في الحلى المذاب او في جوف العجل حتى حيي «وكذلك سولت لي نفسي» زينته وحسنت لي (وجه ٣٩ و٤٠)

الجلالين (على حاشية وجه ٤٠) ندع شرح الجلالين على النص حتى قول موسى «فما خطبك ياسامري» لان شرحهما قبل ذلك من النص هو كشرح البيضاوي «فما خطبك يا سامري» فما شأنك الداعي الى ما صنعت «قال بصرت بما لم يبصروا به» اي علمت ما لم يعلموه «فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي» من تراب اثر حافر فرس الرسول جبرئيل القيتها في صورة العجل المصاغ زينت لي نفسي ان آخذ قبضة من تراب حافر فرس جبرئيل والقيها على ما لا روح له يصير له روح

ملاحظة

يظهر للقارئ النبيه عن هولاء الشراح للقرآن انهم كمحمد نبيهم لم يطلعوا على تاريخ بني اسرائيل في التوراة ولما كان اعتقادهم بمحمد بن عبدالله الهاشمي كنبي الله ورسوله وان القرآن بكليته منزل عليه من الله اغضوا الطرف بالكلية عن كتاب الله التوراة والانجيل كأنه غير موجود مكتفين بالقرآن عنه وكأني بهؤلاء لما رأوا نبهاء المسلمين باضطراب وحيرة من نحو القرآن لما يرون فيه من الاختلاف والتضاد والمزاعم الغريبة غير المهضومة والخلاف الكلي

للكتاب الذي انزله الله على موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء فتلافياً لهذه الامور الخطرة وتركيناً لافكار نبهاء المسلمين الاحرار عمد هذا وذاك من علماء المسلمين وأئمتهم الى وضع شروحات وتآويل لنصوص القرآن باذلون غاية مجهودهم في سبيل التوفيق بين نصوصه وبجاد مخرج لما يرى فيه ما ينكد عى نبوة محمد وارساله من الله لا في سبيل التوفيق بينه و بين الكتاب الذي بايدي اهله اليهود والنصارى لان ذلك خارج عن حد استطاعتهم ومع كما بذلوه من الجهد في امر بيان الوفاق بين كثير من نصوص القرآن وايجاد مخرج لما المعنا اليه من المنكدات على نبوة محمد والرافعة الثقة عن القرآن ترى عجزهم البين عن نوال اربهم هذا كما قد رأيت وسترى فيما سيأتي

اولاً ان هذه الرواية في القرآن هي موضوع الريب بكونها انزال الله من ثلاثة وجوه

(الوجه الاول) لما فيها من الزعم بان الله عز وجل مفتن عباده بالقول المزعوم ان الله قال لموسى انا قد فتنا قومك واضلهم السامري. فترى ان الشطر لاول من النص كمقدمة والشطر الآخر كنتيجة فيخرج من ذلك انه لو لم يفتن الله بني اسرائيل ما استطاع اضلالهم السامري وعليه فقد كانت فتنة الله ايهم تمهيداً لاضلالهم من ذلك السامري اذاً هم لمعذورون (على نوع) باتخاذهم العجل معبوداً فما اعظم الفرق بين هذا القول «انا قد فتنا قومك» و بين قوله تعالى لموسى كما ترى في التوراة «فقال الرب لموسى اذهب انزل لانه قد فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي اوصيتهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه هي الهتك

يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر» (سفر الخروج اصحاح ٣٢: ٧ و٨) وبناء على النص «انا قد فتنا قومك» جاء في سورة الاعراف ان موسى ذكر الله بذلك كما بنوع من المعاتبة وهاك النص «ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال ربي لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء» (آية ١٥٤ و١٥٥) كأن موسى يقول بذلك رب انك شئت اضلالهم ففتنتهم فالعلة انت . فانظر يا اخي انظر هل ترى من سجية القدوس الرحمن ان يفتن العباد لاضلالهم عنه ثم يهلكهم بضلالهم أيوافق ذلك جنب القداسة والعدالة الا تنزه ربك العزيز عن مثل ذلك انك كوالد أتلقي معثرة في طريق ولدك الصغير ليعثر بها ويسقط ويهشم بدنه ويوسخ ثيابه ثم اذا عثر بها وسقط تعنفه وتقاصصه على عثرته وسقوطه كلا انما تلوم نفسك على وضعك تلك المعثرة في طريقه فاذا كنت وانت انسان لا يخلق بك مثل ذلك كعاقل واب حنون فكم بالاولى لا يخلق مثل ذلك بالله جل جلاله. واذا كان ربك الله قد فتنك لاضلالك عنه فهل لك من محيد عن ذلك الضلال كلا اذاً فاي حرج عليك ان ضللت تأمل وقل حاشا لله القدوس مما اليه من ذلك يعزون

الوجه الثاني السامري

لم يتعرض القرآن كما ترى لنسبة هذا السامري المزعوم انه هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل فقط يقول «واضلهم السامري ... فكذلك القى السامري..

وما خطبك يا سامري» ولكن البيضاوي ما وقف على حد النص بل كمفسر القرآن رأى لزوم معرفة نسبة هذا الرجل لان نبهاء المسلمين يطالبون بعرفة نسبته هذه لان لقبه بالسامري نسبي . فقال والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة كقولك افرايمي نسبة الى افرايم فلنسأل الامام الفاضل يا ايها الامام المعول عليه في شرح القرآن من اين عرفت ان من بني اسرائيل قبيلة تدعى السامرة انك لا تقول قيل او حكي ان السامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة بل تجزم بذلك كمن هو واقف بحق الوقوف على انساب بني اسرائيل ورأى في انسابهم قبيلة بهذا الاسم ألك من دليل على صحة زعمك هذا والا اي عار على امام مثلك ان يفوه بكذا زعم لا اساس يرتكن عليه ولا دليل يدعمه وهل يرضى منك المسلم النبيه بذلك كلا لا يرضى . اراك ايها لامام تجهل تاريخ بني اسرائيل وانسابهم في التوراة كل الجهل فقط لا يوجد بينهم من حين كانوا شعباً وامة مذ كانوا في مصر حتى اليوم قبيلة تعرف بهذا الاسم اذا قرأت تاريخهم في التوراة بلغتهم العبرانية او اليونانية او العربية لا تجد فيها ما تزعم واذا سألت علماء يهود هذه الايام عن هذه القبيلة الموهومة ضحكوا جداً من سؤالك هذا واجابوك بتعجب واندهال لا يوجد يا صاحب ولم يوجد في بني اسرائيل قبيلة او عشيرة تعرف بهذا الاسم . وما سامري وساميون الا نسبة الى مدينة من مدن احد اسباط اسرائيل تدعى السامرة بناها عمري احد ملوك العشرة اسباط من بني اسرائيل وسماها السامرة وذلك بعد خروج بني اسرائيل من مصر بخمس مئة وست وستين سنة والقصة كما تقرأ ان اردت في سفر الملوك الاول من التوراة اصحاح

١٦:٢٤ ومع ذلك لم يلقب سكان السامرة من بني اسرائيل بالسامريين انما لما سبى شلمناصر ملك اشور العشرة اسباط اسرائيل بسبب تركهم الرب اله ابائهم وعبادتهم الاصنام واسكنهم في ارض المشرق في خابور نهر جوزان وفي مدن مادي اتى هذا الملك بقوام شرقية من بابل و كوث وعواء وحماه وسفراويم واسكنهم في مدن السامرة وكان الذين سباهم من بني اسرائيل . فدعوا من ذلك الحين بالسامريين احدهم سامري وكان بينهم و بين بقية اسرائيل في اليهودية على مدى الاجيال عداوة ومناصبة حتى ايام السيد المسيح . انظر سفر الملوك اصحاح ١٧:١ ٦ و٢٤ — ٣٠ وذلك بعد خروج بني اسرائيل من مصر وصنعهم العجل بثماني مئة سنة و١٣ سنة وكما تجد في الانجيل انه «بينما كان يسوع المسيح جائلاً في ارض اسرائيل اتاه عشرة رجال برص وسألوه الشفاء قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا فقال لهم اذهبوا . . . وفيما هم ذاهبون طهروا من برصهم فواحد منهم لما رأى انه شفي رجع وخر على وجهه عند رجلي المسيح شاكراً وكان سامرياً فاجاب المسيح وقل اليس العشرة قد طهروا فاين التسعة الم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس بشارة لوقا اصحاح ١٧:١١ — ١٩ اذاً يا حبيبي السامري والسامريون غرباء عن بني اسرائيل وعليه فان كل مسلم عالم بتاريخ بني اسرائيل والسامريين ينكر القول ان السامري قد اضل بني اسرائيل وصنع لهم ذلك العجل في سفح جبل سيناء بعد خروجهم من ارض مصر بقليل من الايام اذ لا وجود لانسان بهذه التسمية في تلك الايام واذا قل المسلم المدقق اذاً من اين هذا القول في القرآن «واضلهم السامري والقى السامري وما خطبك يا سامري» هو مدخل في القرآن و

خطأ من الكاتب وكيف يتكرر كذا الخطأ في كتاب معتبر كتاب الله وكيف لم يصلّح هذا الخطأ من الرسول او ابي بكر او عمر او عثمان بل ترك على علاته حتى اليوم قلنا له الحكم في ذلك لك اوَلا ترى مثل ذلك في القرآن كما في مسئلة نجاة فرعون واهلاكه غرقاً في البحر هي بالطبع من المنكدات على الثقة به كتنزيل الله أوَليس من الغريب وجود مسلم مدرك حر الافكار يتلو القرآن المرة بعد المرة ولا يتدبر مثل هذه النصوص عن السامري ولا يسأل ولو نفسه نفسه ومن يكون يا ترى هذا السامري وما علة نسبته الى السامرة وهل مذكور في توراة موسى كما في قرآن محمد ثم يسأل عنه علماء اليهود والمسيحيين والحاصل لك مما تقدم ان الزعم بكون السامري اضل بني اسرائيل ووضع لهم ذلك العجل عقيب خروجهم من ارض مصر هو خطأ بين وسهم قادح بالقرآن

الوجه الثالث مسئلة جبرئيل وفرسه وقبض السامري قبضة من تراب حافر فرسه ووضعها في جوف العجل الذي صنعه لبني اسرائيل

لقد ابنا فيما سلف بطلان الزعم ان السامري هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل اذ لا سامري في تلك الايام كما قد اتضح فيما تقدم وما صانع العجل بغريب عن بني اسرائيل بل هو هرون اخو موسى كما تقرأ في التوراة «ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه فقال لهم هرون انزعوا اقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم و بناتكم واتوني بها فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي

في اذانهم واتوا بها هرون فاخذ ذلك من ايديهم . . . وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه هي الهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر» (سفر الخروج اصحاح ٣٢: ١ — ٥ ولما نزل موسى من الجبل ورأى الشعب في شر عظيم بعبادة ذلك العجل وغضب من ذلك واباد العجل والتفت الى اخيه هرون لائماً وقال له «ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة. فقال هرون لايحمى غضب سيدي انت تعرف الشعب انه في شرّ فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطيني فطرحته في النار فخرج هذا العجل» (خروج اصحاح ٣٢: ٢ — ٢٥) يعني ان هرون خاف من الشعب ومن شره فاجابهم الى طلبهم وهذ يوافقه نص القرآن في سورة الاعراف «والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قل ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قل موسى رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين» (آية ١٥٠ و١٥٣) اي اني فعلت ما فعلت رهبة من شر القوم الذين اجتمعوا عليَّ وكادوا يقتلونني ولم يقل ان السامري صنع هذا العجل الا تتأمل. ولا ذكر للسامري في سورة الاعراف انما ذلك فقط في سورة طه «السامري صنعه» الاولى توافق التوراة من هذه الحيثية والاخرى تنافيها فاية السورتين احق واية السورتين اصح اذ لا بد ان احداهما صواب والاخرى خطأ فماذا ترى وهل ذلك لا ينكد على الثقة بالقرآن

ولننظر الآن في الزعم ان السامري قبض قبضة من تراب حافر فرس

جبرئيل وادخلها في جوف العجل الذهبي الذي صنعه لبني اسرائيل حتى صار حياً يخور . تقدم الكلام بالكفاية على فعل السامري الموهوم هذا الفعل راجع وجه ٣٣ و٣٤ فلا حاجة للاعادة سوى اني اقول ان هذه الرواية التي لا اشارة لها البتة في كتاب الله ولا محل لها في ذهن عاقل متدبر لا يخلق بالقارئ النبيل ان يعتبرها شيئاً من الاعتبار لما انها خارجة عن حد المعقول من وجهين

(الوجه الاول) هو ان الله عزّ وجل لا يرسل ملائكته الصالحين عوناً على اضلال العباد في عبادة الاصنام وهو قد ارسل انبياءه نحو عبادة الاوثان حاشا لله ان يجعل تراب موطئ فرس ملاكه (اذا صح ان للملائكة افراس حيوانية) علة انطاق الجماد من الاصنام اغراء على عبادتها

(الوجه الثاني) اذا كان جبرئيل حسب رواية ابن الاثير في امر اغراق فرعون في البحر انفرد بفرعون يدس في فمه من حمأ قعر البحر لاهلاكه روحاً وجسداً لانه كان من الطغاة المفسدين أيعقل انه يسمح لذلك السامري المضل ان يقبض قبضة من اثره (حسب القرآن) او من تراب حافر فرسه حسب قول البيضاوي (على فرض المحال ان بذلك حياة الجماد) ليضع ذلك في جوف العجل مصنوعه ليخور كالثور الحي اغراء لبني اسرائيل على عبادته من دون الله ايقبل عقلك ذلك وجبرئيل قدر ان يخمد انفاسه برفسة واحدة صغيرة بحافر فرسه واذا لم يفعل بل سمح لذلك المضل ان يتم اضلاله شعب الله بأخذه قبضة من اثره او من تراب حافر فرسه فعلى ماذا يشف ذلك أليس ينشف عن مواطئة واتفاق سابقين بينه و بين ذلك الرجل على عمل الضلال هذا بلى والحاصل ان هذه الرواية الخارجة عن حد المعقول والبعيدة البعد الشاسع

عن كتب انبياء الرحمن لا تستحق اقل التفات من جانب المسلم النبيه

واذا قيل يا ترى ما سبب الاختلاف في الروايتين في سورتي الاعراف وطه اقول لا سبب الا ما يأتي وهو لا يتجاوز حد التخمين وهو لعل نبي الاسلام لما روي على مسمعه الرواية الاولى المذكورة في سورة الاعراف التي مفادها ان هرون اخي موسى هو صانع ذلك العجل استكبر الامر بان هرون الصالح اخا موسى يأتي مثل هذا الامر المنكر فسأل بعد ذلك بمدة يهوداً آخرين رآهم اعلم وافهم عن هـذا الامر واخبرهم ما قال له اولئك فقالوا له لا تصدق على هرون الفاضل مثل هذا الامر حاشا لهرون ان يأتي كذا منكراً ولان العداوة بين اليهود والسامريين راسخة ومشهورة منذ عهد قديم للسبب الذي تقدم ذكره في هـذه القضية وهم اما جاهلون تاريخ السامريين او متجاهلون (والاقرب الاول) قلوا لمحمد ان سامرياً او السامري اضل بني اسرائيل في غياب موسى وصنع لهم ذلك العجل ولان نبي الاسلام لم يكن يعرف شيئاً عن السامريين ونسبتهم هـذه اتخذ ذلك منهم على محمل الصدق واثبته في قرآنه وان لم يكن ذلك فما سبب الاختلاف في السورتين والتباين في الروايتين وهل من مسلم عاقل يقدر ان يبين علة لذلك غير ما ذكر معقولة مقبولة ولا يخفى ان عبادة العجول لم تكن معروفة ولا مألوفة عند السامريين انظر الاصحاح الاول من سفر الملوك الثاني عدد ٣٠ و٣١ وان قل العامي من المسلمين لا يلزمنا البحث في هذه المسئلة ويكفينا انه هكذا جاء في القرآن الشريف «واضلهم السامري وألقى السامري الخ» اجابه المسلم النبيل أليس لنا يا اخي عقل يميز الخطأ من الصواب أينزل الله على نبيه نبأ يظهر العلم والتاريخ

خطأه ولا سيما التاريخ المقدس في التوراة وشهادة بقية اسرائيل الباقية انه لامر لا مراء فيه ان تاريخ السامريين ولقبهم سامريين موخراً اجيالاً طوالاً عن تاريخ خروج بني اسرائيل من ارض مصر واتيانهم الى طور سينا وليس من قبيلة من بني اسرائيل عرفت بهذا الاسم كما يزعم شيخنا البيضاوي اذاً من المحال ان يكون سامرياً صنع ذلك العجل والذي يقرب الى العقل انه كان مصرياً على الفرض البعيد انه لم يكن هرون باعتبار تاريخ التوراة والدليل في سورة الاعراف واقول يا اخي هكذا أنزل لا يروي غليلاً ان لم يؤيد انزاله من عند الله البرهان القاطع واني لارى الدليل قطعاً ان النبي اتخذ هاتين الروايتين عن يهود زمانه في الحجاز والله اعلم

القضية الخامسة

تعذيب اهل القبور في قبورهم

الامر بين ان اعتقاد المسلمين بتعذيب الموتى الاشرار والمنافقين في قبورهم من الملاكين منكر ونكير دخل في الاسلام من بعض عجائز يهود المدينة كما جاء في حديث البخاري قال « روي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت دخل علي عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا ان اهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما ولم انعم ان اصدقهما فخرجتا ودخل النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عجوزين من عجز اليهود دخلتا الي وذكرت له ما قالتا ولم اصدقهما في ذلك فقال صدقتا انهم يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه

البهائم كلها فما رأيته بعد ذلك في صلاة الا تعوذ من عذاب القبر » وروي عن مالك ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم واعوذ بك من عذاب القبر جزء ٤ وجه ٨٩ وروي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قل « اذا وضع العبد في قبره وتولى اصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعداً من الجنة قل النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما معاً واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال له لادريت ولا تليت ثم يضربانه بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين » بخاري جزء اول وجه ١٧٣

ملاحظة

اذا كان مصدر عقيدة عذاب اهل القبور في قبورهم يهوديتان من عجائز اليهود وعقول العجائز في الغالب مخازن الاوهام والخرافات أستبعد كثيراً انه اخذ عن جهلاء اليهود ودهاتهم تلك الروايات المتناقضة وغير المعقولة انظر ان عدم تصديق عائشة حديث تينك العجوزين كان لانها ما سمعت مثل ذلك من قبل لا من الناس ولا من زوجها ولا من ابيها ابي بكر ولانها رأته غير معقول وقط ما كانت سمعت النبي مرة ما يقول في دعائه « اللهم اعوذ بك من عذاب القبر » ولو كانت سمعت ذلك منه قبل دخول عجوزي اليهود اليها وقولهما لها ان اهل القبور يعذبون في قبورهم لكانت حين قالتا لها ذلك اجابتهما

نعم النبي اخبرني ذلك ولما لم يكن شيء من ذلك وكان محمد بعد ان اخبرته عائشة حديث العجوزين وتصديقه له يتعوذ في كل صلاة من عذاب القبر دل ذلك على ان هذا الاعتقاد لم يكن في قلب الأسلام من قبل تأمل

ثم ان هذا الحديث والاعتقاد الغريب فضلاً عن ان لا اشارة اليه ولا لمحة في التوراة والانجيل هو كما لايخفى عليك مناف كل المنافاة للعلم والخبرة فان العلم يبين ان الموت هو فقدان الجسد الحياة بكل معنى بحيث ينجم عنه وقوف الحركة الدموية وقوفاً تاماً و بذلك تتعطل كل وظيفة من وظائف اعضاء الجسد فيعدم الميت في دقيقة موته كل مشاعره كالحس والسمع والبصر وغيرها وعليه غب حدوث الموت يأخذ في الجسد الميت الدثور والانحلال التدريجي فهو والحالة هذه في حالة الخراب التام ومنافاته للخبرة هو من وجهين (الوجه الاول) هو ان الانسان بعد موته حقيقة اذا قطعت جسده عضواً عضواً او حرقته بالنار لا تبدو منه اقل حركة تدل على شعوره بالم ما (الوجه الثاني) اذا ابقينا الميت حقيقة من دون دفن ثلاثة او اربعة ايام حتى انتن واخذ في الهراء لا نرى انه يطرأ عليه شيء من علائم الحياة ولا من بوادر الالم والانزعاج اي لا تبدر منه حركة ولا يجلس او يميل الى احد جانبيه ولا يئن انة تدل على كونه يتألم من شيء فماذا ولماذا معذبو الاموات افلا يقدرون على تعذيبهم الا في ظلمة القبر حيث لا من يرى ولا من يسمع واذا كانت البهائم كلها تسمع صراخ عذابهم كما يقول محمد الا تسمعه الناس ولماذا . و اذا كان الملاكان يعذبان كذا الكافر والمنافق في قبره ذلك بان يرجعا اليه روحه ويجلساه و يستنطقاه حتى اذا لم يحسن الجواب لانه كافر او منافق ضرباه بالمطرقة الحديدية بين اذنيه يصيح

من جرائها صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين (الانس والجن) افلا يقدران على ذلك اذا لم يقبر فاذا كانا لا يقدران على تعذيب الميت الا في القبر فخير له ان لايدفن بل يطرح على وجه الصحراء مأكلاً للوحش والطير لانه لا يتألم من ذلك ولا يحس فيكون ذووه فعلوا بذلك معروفاً كبيراً معه والحاصل لك من هذه القضية ثلاثة امور غريبة

(الامر الاول) ان هذه العقيدة في الاسلام مصدرها يهوديتان

(الامر الثاني) الزعم بن الميت حقيقة يسمع ولا يقدر ان يتكلم حتى انه كما قال محمد انه ليسمع قرع نعال اصحابه المتولين عنه (غب دفنه في قبره) كميت وحي في آن واحد وهو من المحل المحال لم يسمع بمثله في سوى الاسلام فكيف ترى ؟ ويظهر لك ان هذه العقيدة قد تمكنت في ذهن نبي الاسلام وتعاظمت الى درجة اعتقد فيها ان الميت يسمع خطاب مخاطبه حتى ولو جيفت جثته كما يسمع الحي لا فرق وشاهد ذلك ما كان منه غب واقعة بدر الشهيرة مع قومه قريش اذ وقف على اشلاء القتلى منهم بعد موتهم بثلاثة ايام واخذ يناديهم كاحياء يسمعون وهاك الرواية بحروفها

جاء في الصحيح لحديث مسلم « روي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا (ثلاثة ايام) ثم اتاهم فقام عليهم وناداهم يا ابا جهل بن هشام يا امية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فسمع عمر ابن الخطاب قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم اسمع منهم ولكنهم

لا يقدرون أن يجيبوا ثم امر بهم فسحبوا فالقوا في قليب بدر» مجلد ٤ وجه ٣٨٤
انظر اذا كان هؤلاء القتلى الذين عراهم الاندثار يسمعون مناديهم كذا فلماذا
لا يقدرون ان يجيبوا وما الدليل والبرهان على انهم يسمعون لاشيء من ذلك
قول النبي ان عمر النبيل انكر على محمد النبي مناداتهم وهم قد انتنوا بداعي انه
غير ممكن ان يسمعوا نداءه بعدما صاروا الى هذه الحالة ولكن النبي اسكته
بالقسم العظيم انه ليس باسمع منهم انما لايقدرون ان يجيبوا . فسكت عمر قابلاً
من نبيه ورئيسه ما ينافي عقله وخبرته كأني بعمر اتقى بعقله وحكم وجدانه جانباً
لان الرسول اكد له بالقسم انهم يسمعون مثله فاي اعتراض له بعد . فيارعاك
الله كيف ترى هذه العقيدة وهذه الرواية غير المعقولة ولا جديرة بالقبول
والاعتبار من اولي المدارك والابصار والتي لم يشر اليها احد سواه من رسل
الله وانبيائه

(الامر الثالث) خوف نبي الاسلام ورهبته من عذاب القبر حتى امسى
يكثر هكذا الاستعاذة بالله منه لامراء ان المسلم النبيه في هذا الامر وفيما تقدم
من الروايات والاحاديث عن لسان محمد ولا سيما عن اتيان الملكان الميت
المدفون حديثاً واجلاسهما اياه واستجوابه عما كان يقول في محمد الى آخره .
مشكلة المشاكل لا يرى الى حلها من سبيل فلا يرها الا باباً واسعاً للشك في
دعوى محمد بن عبد الله انه نبي الله ورسوله لا يرى له مناصاً من ولوجه وكاني
به يقول ارسول الله وحبيبه الادنى اليه يرهب كذا جزعاً من عذاب القبر
الموهوم هب انه لحديث عذاب اهل القبور في قبورهم صحة ايمس ذلك
العذاب انبياء الله ورسله الاحياء هل من ذي بصيرة يقول في ذلك ؟ ترى

اي موافقة ومناسبة بين جزع محمد من عذاب القبر جزعاً الجأه كذا الى كثرة الاستعاذة بالله منه و بين دعواه انه رسول الله الاعظم وحبيبه الاكرم سيد ولد آدم وشفيع المسلمين في يوم الدين وايضاً هل من مناسبة وموالفة بين خوفه هذا من عذاب القبر...و بين حديثه المشار اليه في صحيح البخاري. تأمل... اذا كان الميت المشاهد في قبره (جواباً للملكين سائليه) لمحمد انه عبد الله ورسوله لا يمساه باذى بل يريانه مقعده الناعم الباهي في الجنة لاطمئنانه ومسرة قلبه فكم بالاولى يكون محمداً بمعزل عن اقل مس في قبره. اذا كان الشاهد له في قبره كعبد الله ورسوله نه مثل هذه الحظوى والكرامة من ملكي الله فكم بالاولى المشهود له منه. في اخواني المسلمين يا اولي البصائر اناشدكم الله الذي لا اله الا هو ان تحكموا حكماً عادلاً في هذه المسئلة التي تهمنا دون سوانا اذا كان يا مسلمون الامر كما يقول محمد ان له تمام القربى من الله وكمال الحظوى لديه كحبيبه ورسوله الاعظم وكما يقول في حديثه عن الميت والملاكين... فاي باعث اذن لخوفه كذا من عذاب القبر خوفاً بعثه لكثرة الاستعاذة بالله منه الامر الذي قط لم يحك ولم يروى عن نبي وعلى ما يشف ذلك يا اخوان ألم يكن الرسول على ثقة بصحة دعواه كنبي الله ورسوله ولم يكن مصدقاً في قلبه ما حدث به اصحابه عن عز منزلته وسمو مقامه عند الله ربه اذ تلقن هذه الامور من بشر نظيره ولذلك عراه بعض الاحيان الشك فيما انزل اليه او فيما لقنه ذلك الشخص المدعو جبرئيل كما عن فم الله كما قد عراه مثل هذا الخوف والرهبة من عذاب القبر اوليس يا اخوان من المحال اجتماع الامرين فمن لنا بحل هذا الاشكال الذي لا يرى له حل الا بانكار كل هذه الاحاديث وهو

متعذر جداً ومخطر او بلشك في نبوة محمد فكلا الامرين شتيم انا لله وانا اليه راجعون . ترى وما حجتنا كمسلمين من هذه الحيثية لدى غير المسلم المطلع على هذه الامور لا حجة لنا معقولة ولا مقبولة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هدانا الله الصراط القويم

وفي الختام اقول مُسَلِّم ان لا شيء من العقائد من دون اصل تعود اليه اما حقيقي واما وهمي ورب سائل وما اصل وسبب هذه العقيدة في يهود العرب فاقول الراجح لنا ان سببه الاسراع في دفن الميت وقد اعتاد اليهود منذ ازمنة قديمة العجلة بدفن موتاهم وقد يحدث كما لا يخفى عن هذه الاسراع بدفن الموتى دفن من ليس هو بميت حقيقة بل قد طرأ عليه ما جعله في نظر الجهلاء ميتاً وجرياً على العادة المتبعة عندهم حملوه حالاً وواروه في حفرته و بعد حين من ذلك استفاق ذلك الدفين المنكود الحظ فرأى نفسه في حرج قبره المخيف فَنَّ وصاح و بكى واستغاث ولا من مجير ولا مغيث حتى مات كمداً لمداً واذا سمع بعضهم ذلك الصراخ والانين من داخل قبر من دفن حديثاً ظنوه لجهلهم يعذب في قبره من معذبين اما لكفره بالله او لذنوب وجرائم اتاها في دنياه ولم يتب عنها وعلى تمادي الايام والاجيال امسى هـذا الامر كحقيقة لا مراء فيها عند الاكثرين. اجل ذلك الدفين المسكين يعذب حقيقة في قبره وقتاً ما وما معذبوه الا الجهل وحمق اولئك الذين عجلوا عليه بالدفن من دون ترو وفحص طبي ونتأسف ان نبي الاسلام صدق حديث عجوزي يهود المدينة بهذا الخصوص واكده زوجته عائشة كل التأكيد فامسى ذلك عند عموم المسلمين

حقيقة مسلمة لا مراء فيها و بناء عليه فان شيخ الجنازة عندهم في ختام الصلاة على الميت يلقنه كي يسمع هذا التلقين وهو

واذا جاآك الملاكان النيران وسألاك ما ربك وما دينك ومن هو نبيك فقل لهم الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبيي والمسلمون اخواني والمسلمات اخواتي وانا على دين اشهد ان لا له الا الله وان محمداً رسول الله. فيا اخي المسلم اسألك على فرض المسلم بحاجة في قبره الى هذه الاجوبة الى الملاكين سائليه بناء على الاحاديث المتقدمة اما كان الاوفق ان يدرس هذا الدرس وهو حي يسمع ويجاوب ولكن يظهر انهم يفعلون ذلك للميت استناداً على قول نبيهم ان الميت يسمع كالحي ولكنه لا يقدر ان يجاوب على اني لا اقدر اصدق ان مثلم عصرنا العالم النبيل يعير هذا التلقين للميت شيئاً من الاعتبار

ومن مصادر الاسلام

النصارى

الامر بين ان نصارى بلاد العرب لم يكونوا اقل جهلاً بحقائق الكتاب من يهود تلك البلاد للاسباب التي سنأتي على بيانها ان شاء الله

لا ينبغي لنا في هذا البحث اغفال امرين مهمين توصلاً للمسئلة التي نحن في صددها

(الامر الاول) ان عدة قبائل من العرب الشهيرة كبني كندة و بني غسان ملوك الشام وعرب نجران وغيرهم من عشائر العرب كانوا نصارى يدينون

بدين المسيح قبل محمد وفي ايمه ولك الدليل من بعض نصوص القرآن ومن كتاب سيرة نبي الاسلام انه كان لمحمد تعارف ببعضهم او بكثير منهم من قبل اشتهاره كنبي ورسول من الله وربما كانت الذريعة الى ذلك كثرة تردده الى الشام بداعي التجارة مع عمه ابي طالب كمساعد له في ذلك ثم بتجارته لخديجة بنت خويلد الغنية التي صارت فيما بعد زوجته وكان يومئذ كافة اهل الشام مسيحيين وقليل منهم من اليهود وغير منكر تعارف محمد برهبان دير البصرة الكائن على طريق الشام من مكة ذ كان يعرج اليه في ذهابه الى الشام وايابه منها كمحطة للقوافل الذاهبة والآيبة

(الامر الثاني) لك من تاريخ الديانة المسيحية انه بعد موت رسل المسيح ناشروها في العالم ومؤسسوها وموت الجيل لرسولي من المسيحيين لم تلبث طويلاً ان صارت الى شعب عديدة ومذاهب مختلفة بعض الاختلاف في الرأي ونوع العبادة وعلى مر الايام والاجيال ولا سيما بعد ان صار صولجان الملك الى الامة المسيحية منذ قسطنطين الكبير اول سلطان مسيحي ودخل في الدين المسيحي منافقون كثيرون ومن امرآء واعيان وحكماء الامم لا عن ايمان قلبي ولا حباً بالدين بل اما رهبة او رغبة في عظم الجاه والسؤدد شيبت الديانة المسيحية النقية شيئاً فشيئاً بشوائب الخرافات الوثنية وبدع غريبة عن انجيل الله الذي بعنايته تعالى حفظ سالماً من كل شائبة شاهداً على تلك الاباطيل وذلك لسببين كما لا يخفى على اولي البصيرة

(السبب الاول) جهل الجانب الاعظم من الامة حقائق الكتاب المقدس لما ان اكثرهم لم يحرزوه وكثير منهم لم يروه كما ان العدد العديد منهم كانوا اميين

لا يقرأون ولا يكتبون فكان امثال هؤلاء يرتضعون لبن الدين المسيحي مغشوشاً بسوائل الخرافات والاوهام والاحاديث الفارغة لانهم يتلقون تعاليم الدين بالتدريس والسمع والتحديث من السلف الى الخلف وطبيعي انها على توالي الايام والاجيال وتباين المدرسين والمحدثين عقلاً وقلباً تمزج شيئاً فشيئاً بحكايات وعقائد كتاب الله براء منها بل شاهد على بطلانها كما لا يخفى على القارئ النبيه وعليه فقد سبق الرسول بطرس رسول يسوع المسيح فقال كناصح محذر لمسيحي ايامه «وكاطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنمو به» رسالة بطرس الرسول الاولى اصحاح ٢:٢ يعني كلمة الله الخالصة في كتابه

(السبب الثاني) ان صناعة الطبع لم تكن معروفة في تلك الايام والكتبة الماهرون الامناء قليلون جداً فلذلك كان كتاب الله التوراة والانجيل الذي يخط بالقلم عزيز الوجود لغلاء ثمنه قيل كان ثمن النسخة منه نحو عشرة آلاف درهم او احد عشر الف درهم وكانت اجرة العامل درهماً في اليوم فكان يقتضي له اجرة نحو عشرة آلاف يوم ليقتني نسخة من كتاب الله . ولذلك لم يوجد الكتاب جملة الا في بعض المعابد المشهورة وعند افراد العظماء والاغنياء وهم شديدو الحرص عليه حتى لا يعار ولا يستعار وربما اكثر هؤلاء احرزوه في مكاتبهم ومنازلهم للتبرك به والتفاخر بوجوده عندهم اكثر مما لاجل دراسته والتفقه باقواله لافادة نفوسهم ولهذين السببين وميل الانسان الى غرائب الاحاديث والمبالغات والازدياد في ما يرى ويقص على غيره والباسه الحقائق البسيطة لباساً قشيباً من نسيج التخيلات والبدائع الذهنية مزجت هكذا على توالي الايام كما

المعنا حقائق الكتاب وقصصه المتداولة باللسان من السلف الى الخلف عمداً او سهواً باراء ونكت وروايات ليست من كتاب الله بشيء وما اشرنا اليه هو ذات الشيء الطارئ على الاسلام فترى عامة المسلمين وكتب الحديث المطولة تعزى لمحمد كنبي الله ورسوله اموراً واعمالاً والقاباً ومقاماً لدى الله فائقاً لم يجيء بها القرآن ولا عرفت في صدر الاسلام (كما ارى) فضلاً عما عليه تلك الاحاديث والمزاعم من التضارب والتدافع والاختلاف المبين كونها اختلاقاً وابتداعاً ومؤكد ان عقلاء المسلمين النيري الذهن لا يعيرون هذه الاشياء شيئاً من الاعتبار وان كانوا لايجاهرون بتفنيدها خشية شر غضب العامة.

واذا تقرر ذلك اتقدم الى القارئ العزيز ببعض القضايا الداخلة على الاسلام من نصارى معاصري محمد ومجاوريه من قسس ورهبان وعامة كما تلاحظ ذلك من سياق السيرة النبوية ومن بعض نصوص القرآن كما ترى في النص «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا (اسلموا) الذين قلوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وهم لا يستكبرون » سورة البقرة آية ٦٢ و٨٥ مائدة. ومن العهدة الجديدة التي عهدها للنصارى التي اعطى منها نسخة لجسو حبر النساطرة. افلا ترى من ذلك انه كان لنبي الاسلام مداخلة ومصادقة مع نصارى بلاد العرب وخصوصاً نصارى الحجاز او ينكر بعد ذلك كله انه اخذ عنه اموراً كثيرة دينية وتاريخية وسواء انكر ذلك من المسلمين او لم ينكر سوف ترى مما يأتي انه فعل ذلك هذا ولقد لحظ المشركون في مكة هذا الامر فرموا محمداً بافترا

القرآن بان قالوا « فتراه على الله واعانه عليه قوم آخرون » (سورة الفرقن آية ٥) وشراح القرآن يقولون في هذا النص نه كان عند بعض قريش ثلاثة موالي من اهل الكتاب كانو عرفين بالكتاب وكان محمد يتردد عليهم فاتهموه هذه التهمة وفي البيضاوي « وعانه عليه قوم آخرون » اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته والجلالين « واعانه عليه قوم آخرون » اهل الكتاب وذلك يعم اليهود والنصارى (جزء ٢ وجه ٩٣)

وهاك بعض القضايا ذات الشأن التي ترى منها ان نبي الاسلام اخذ كثيراً من الامور عن النصارى كما اخذ عن اليهود ودونها في قرآنه وبا ليتها كانت كما في الكتاب المقدس

القضية الاولى

امرأة عمران وابنتها مريم

ورد في القرآن ان امرأة عمران قالت « رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك السميع العليم فلما وضعتها قلت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم انى لك هذا قلت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (سورة آل عمران آية ٣٢ و٣٣ و٣٤)

ملخص شرحه في البيضاوي والجلالين

(البيضاوي) ان اسم امرأة عمران حنة بنت فاقوزا وان زوجها عمران هو غير عمران ابي موسى وهرون ومريم ومات عمران وامرأته حنة حبلى فنذرت لله حملها ولما ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت ابنة امامهم وصاحب قربانهم فاقترعوا بينهم من يكون وليها بالكفالة فاصابت القرعة زكريا فاخذها في اول امرها حين ولدت ووضعت في المحراب في اشرف موضع من بيت المقدس (جزء اول وجه ١١٣ و١١٤)

(الجلالين) باختصار « فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً » فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام « المحراب » الغرفة وهي اشرف المجالس (على هامش ذات الوجه)

ملاحظة

للقاري العزيز في هذه القضية ثلاثة امور تدعو الى التحري والتدبر

(الامر الاول) «امرأة عمران» اذا قرأت تاريخ بني اسرائيل في التوراة منذ رجوعهم من سبي بابل الى بلادهم عن يد كورش الفارسي حتى ولادة المسيح لا تجد فيه ذكر امرأة تنسب الى رجل اسمه عمران وانها ولدت ابنة اسمها مريم وان لمريم هذه اخاً اسمه هرون ولا شيء في الانجيل من ذلك. فكيف اذاً جاء في القرآن عن مريم بعد ان ولدت المسيح النص «فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء

وما كانت امك بغياً» (سورة مريم آية ٢٧ و٢٨) انظر كيف القرآن في موقف سوء ظن قومها بها قل انهم قالوا لها «يا اخت هرون» اليس يعني بذلك ان يا مريم انت من اسرة طاهرة من ابوين تقيين فاضلين واخت اخ مشهور بالفضل هرون الصالح فكيف جئت هذا الامر الفري . الا يرى القاري النبيه من هذا النص عن هذه الاسرة الدليل والاشارة (ولو خلاف المقصود فيه) الى اسرة عمرام بن لاوي ابي مريم وهرون وموسى العائلة المذكورة في سفر اخبار الايام الاول من التوراة اصحاح ٦ عد٣ وعليه فان بين مريم بنت عمرام اخت هرون ومريم والدة المسيح ١٥٧١ سنة تأمل . وان قيل كما يذهب البيضاوي ان عمران ابي مريم ام المسيح هو غير عمرام ابي موسى وان هذا الاخير سمى ابنه هرون على اسم هرون النبي بن عمرام بن لاوي . قلنا جائز توارد الاسماء بين الناس وهو كثير الحدوث ولا بأس منه غير ان الكتاب المقدس لا يصدق البتة نسب مريم ام المسيح هذا كما اشرنا اعلاه فلا احد من انبياء الله العديدين من موسى الى ملاخي انبأ ان المسيح سيولد من مريم بنت عمران اخت هرون فالمسئلة يا اخي تاريخية وتاريخ ولادة المسيح من امه مريم مسطراً في الانجيل ببساطة ووضوح كلي ولا ذكر البتة لابيها ولا لامها وكانت ساكنة في الناصرة مدينة من مدن كورة الجليل ومخطوبة لرجل من عشيرتها اسمه يوسف لاحظ انجيل متى اصحاح ١ عد ١٨—٢٣ وانجيل لوقا اصحاح ١ عد ٢٦—٣٤ وقد مضى على الانجيل مذ ولادة المسيح الى ظهور محمد نحو ستمائة سنة وهو يكرز به كذا في العالم تأمل . فمن اين اذاً هذه الرواية القرآنية الغريبة في بابها واسلوبها فان قيل هي وحي الله على عبده محمد قلنا هل

يوحي الله وحياً ينافي نص انجيله بعد انتشاره في العالم مدة نحو ستة قرون اليس ذلك من المحال صيرورته من الله وهل يعقل ذلك من مسلم نبيه و يقبل وهو يقرأ في القرآن انه انزل مصدقاً لما مع اهل الكتاب مصدقاً للتوراة والانجيل للذين معهم . تدبر

فلدى النظر الدقيق الى هـذه الامور الا يتبادر الى الذهن ولو على نوع الترجيح ان محمداً اتخذ هذه الرواية عن نصارى جهلاء نصارى الحجاز الذين لجهلهم الكتاب او لغاية في النفس خبطوا وخلطوا نسب مريم ام المسيح بنسب مريم بنت عمران اخت موسى وهرون فاخذ ذلك منهم مأخذ الصدق وادرجها في قرآنه كحقيقة لا مراء فيها وإذا لم تكن هذه الرواية في القرآن من النصارى ولا هي وحي من الله كما تقدمت الاشارة فمن اين هي اذاً وما مصدرها

(الامر الثاني) نذر امرأة عمران لله ما في بطنها حسبما جاء في القرآن «ان امرأة عمران قالت رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم»

فهذا ايضاً لا نص عنه ولا اشارة في انجيل الله ولا جاء في التوراة ان امرأة اسرائيلية حبلى نذرت لله حملها . امرأة واحدة من بني اسرائيل اسمها حنة زوجة القانة الثانية من بلد تدعى رامتايم صوفيم من جبل افرايم كانت عاقراً وضرتها ولودة ولما حجت في احد المواسم الى بيت الله مع رجلها وضرتها انفردت في بيت الرب وصلت الى الرب و بكت بكاء ونذرت نذراً وقالت «يا رب الجنود ان نظرت نظراً الى مذلة امتك وذكرتني .. واعطيت امتك زرع بشر فاني اعطيه للرب كل ايام حياته ولا يعلو رأسه موسى» والرب استمع

لها واعطاها ابناً سمته صموئيل (اي مسأول من الله) وهو النبي صموئيل الشهير انظر سفر صموئيل الاول اصحاح ١ اوليس ما يعقل لو كان من صحته لنذر هذه المرأة الحبلى لله ما في باطنها لما اغفل ذلك في كتاب الله وهنا ملاحظة في توحيد الاسم بين الامرأتين . حنة . وكون كلتيهما نذرتا لله المولود الذي يرزقهما وفي ذلك شيء من الدلالة على ان الراوي على محمد هذه الرواية لم يميز بين المرأتين فخبط فيما رواه خبط عشواء حاسباً حنة ام صموئيل النبي الناذرة لله المولود الذي ان شاء الله يعطيها. امرأة عمران ام مريم والدة المسيح والله اعلم وبكل الاحوال ما قيل في الامر الاول يقال ايضاً في هذا الامر ان مصدره جهلاء النصارى

(الامر الثالث) تكفيل مريم زكريا ووضعها في المحراب

النص «فتقبلها ربها بقبول حسن... وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا في المحراب ...» (سورة آل عمران آية ٣٣و٣٤)

ان كل ذي بصيرة مطلع على الكتاب المقدس وانساب بني اسرائيل فيه وعلى قصة ام المسيح في الانجيل لا يرى شيئاً من المطابقة والموافقة بين نص القرآن هذا ونصوص كتاب الله في هذا الشأن وما البعد بين الكتاب المقدس والقرآن من حيث تكفيل زكريا بمريم ووضعها في محراب بين المقدس الا كبعد الثريا عن الثرى بل وابعد ويعجبك شرح الشراح لهذه النصوص في السورة من اين عرفوا ان اسم ام مريم حنة ومن اين عرفوا ان ابا حنة اسمه فاقوزا ومن اين عرفوا ان ابا مريم كان امام الاحبار وان حنة حالما ولدت مريم لفتها بخرقة واتت بها الاحبار في مسجد الله الى آخر مقالهم بهذا الشأن

ليس ذلك في القرآن ولا في الكتاب فانى لهم هذا العلم اهم انبياء عرفوا ذلك على سبيل النبوة بوحي روح الله لا احد من المسلمين يعترف لهم بالنبوة ولا هم ادعوا النبوة اذاً من اين لكم هذه المعلوميات ايها الائمة الافاضل من اين تلقتموها اذا لم تكن من الكتاب ولا من القرآن ولم تأتكم على سبيل الوحي والالهام فلا بد انكم تلقتموها عن السنة الناس فمن يكون هؤلاء الناس الا بعض النصارى او نفر من اليهود الذين اسلموا والراجح الاول. وهنا نكتة اذا كان أئمة المسلمين اتخذوا ذلك من بعض النصارى لساناً او كتابة أيجدر بذكائهم الاعتماد على اقوال الافواه او كلام الكتابة من حيث مثل هذه الامور من دون الوقوف على اصلها في كتاب الله والانسان معروف بميله الى الاحاديث الزائفة والاختلاقات الغريبة فضلاً عن ان سوء القصد كثيراً ما يدعو المحدث والمخبر الى قلب وجه الحقيقة والباسها ثوباً غريباً تظهر به على خلاف ما هي . وهل من مسلم نبيه حر لا يحكم بحق الرجوع في مثل هذه الامور الى الاصل في الكتاب المقدس الذي اورثه الله بني اسرائيل وهم اهله وقد اشتهروا منذ القديم بالاحتفاظ على انسابهم حسب اسباطهم وعلى الخصوص سبط لاوي وسبط يهوذا. ثم دعنا ننظر في الكتاب الى هذه الثلاثة امور والاسماء المذكورة في القرآن «مريم وزكريا والمحراب» وفي شرحها من الشراح المذكورين نرى هل من مطابقة او مناسبة بينها و بين ما هو في الكتاب التوراة والانجيل بهذا الخصوص

«مريم» ان اسم مريم وان الملائكة بشرتها بكلمة الله المسيح الى غير ذلك مشهور في القرآن فلا حاجة هنا الى مراجعة ذلك فقط ننظر في شرح

الشراح امر مريم ام المسيح زعموا كما رأيت فيما تقدم ان مريم ام المسيح هي ابنة امام احبار بني اسرائيل اي الحبر الاعظم رئيس كهنة الله اي انها من ذرية هرون من سبط لاوي وهو كما لا يخفى ليس من الحقيقة بشيء لان الانجيل يعلن ان مريم ام المسيح هي من ذرية داود من سبط يهوذا الذي لا علاقة له البتة بالكهنوت وها لك النص «فقال لها الملاك (غب تبشيره اياها بالمسيح) لا تخافي يا مريم انك قد وجدت نعمة عند الله وها انت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه» (انجيل لوقا اصحاح ١: ٣٠—٣٣)

اذاً المسيح ابن داود اي من ذرية داود من سبط يهوذا فتكون مريم من ذرية هذا الملك وهذا السبط. تأمل وبنو اسرائيل كانوا حسب النبوات متأكدين ان المسيح سيولد من بيت داود وعليه فان اعمى اريحا لما علم ان يسوع الناصري مجتاز في الطريق التي هو جالس بجانبها يستعطي من المارين صرخ يايسوع بن داود ارحمني انجيل لوقا اصحاح ١٨ ٣٨—و٣٩ وفي الرسالة الى العبرانيين يقول «فانه واضح ان ربنا (المسيح) قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت» اصحاح ٧: ١٤ فلك مما تقدم ومما لم نورده حباً بالاختصار ان مريم ام يسوع المسيح ليست بنت كاهن او امام الاحبار كما يذهب اولئك الشراح المتنبأون بل هي وابنها من ذرية داود من سبط يهوذا

زكريا

هو احد كهنة الله من فرقة ابيا الذين يخدمون الله في هيكله في مدينة اورشليم وليس بينه و بين مريم ام المسيح علاقة نسبية خاصة الا من جهة امرأته اليصابات . التي وان تكن كما يقول في الانجيل انها من بنات هرون كانت نسيبة مريم من وجه غير مذكور في الانجيل . وكان زكريا يأتي اورشليم ويخدم في بيت الرب مع كهنة فرقته و يعود الى مدينته و بيته في الجبال [1] انجيل لوقا اصحاح ١ عد ٥—٤٠ ومريم ام المسيح خطيبة نسيبها يوسف كانت ساكنة في الناصرة مدينة من مدن الجليل كما ترى في اصحاح ١ عينه وهي تبعد ثلاث مراحل عن اورشليم ولما اخبرها الملاك في الناصرة حين بشرها بالمسيح ان نسيبتها اليصابات حبلى بابن في شيخوختها اتت من الناصرة الى الجبال الى مدينة يهوذا واقامت ببيت زكريا على سبيل الزيارة نحو ثلاثة اشهر ثم رجعت الى بيتها (في الناصرة) فترى من ذلك ان زكريا الكاهن لم يكن ملازماً هيكل الله في اورشليم فلا يقيم فيه سوى نحو اسبوعين في السنة و يعود الى بيته. فلو كان

---

[1] كان داود الملك والنبي لما رأي كثرة كهنة الله من نسل هرون قسمهم مع صدوق الكاهن واخيمالك بن ابياثار الى اربعة وعشرين فرقة كل فرقة تاتي في نوبتها وتكهن في بيت الله نصف شهر وتعود الى مدينتها وهكذا كان زكريا مع كهنة فرقته يخدم الرب في هيكله نحو ١٥ يوماً ولما تمت ايام خدمته عاد الى مدينته وبيته انظر سفر الأيام الاول اصحاح ١٤ عد١—٢٠ وانجيل لوقا اصحاح ١ عد ٢٣

الله كفل زكريا بمريم كان طبعاً اخذها الى بيته لتكون مع امرأته نسيبتها وتحت نظره قياماً بحق الكفالة والرعاية فضلاً عن انه لا خبر ولا اشارة في الانجيل ان الله سبحانه كفلها زكريا وليس ذلك من عادات بني اسرائيل فاذا وجد طفل يتيم اولطيم ليس له من يعتني به كفله احد رجال سبطه وعشيرته الاقرب اليه كما كفل محمداً عمه ابو طالب اذ كان يتيماً من ابويه و بعد اترى من الطبيعي المألوف ان الوالدة تعطي ولدها يوم ولادتها اياه لسواها ولا تدعه في حضنها يغتذي من لبنها مهما كانت من حلة العوز والفقر كلا وكلا ما لم يكن ذلك المولود جاء على سبيل البغي فهل كانت ام مريم بغياً ؟ والنهاية ان مريم في الناصرة تربت وفي الناصرة نشأت وفي الناصرة بشرت من جبرئيل بالمسيح حسب التاريخ الانجيلي فلا اوتي بها زكريا ولا كفلها تأمل

المحراب

جاء في القرآن بعد القول «وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب» وتفسير ذلك من شراح القرآن «المحراب» اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها . سمي محراب لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف محل من بيت المقدس «المحراب» الغرفة وهي اشرف المجالس . بيضاوي والجلالين جزء اول وجه ١١٣ و١١٤

انّا نتأسف ويشاركنا في هذا الاسف عقلاء المسلمين المتدبرين ان مثل هؤلاء الشراح المعتبرين من اولي العلم والتحري لا يعرفون شيئاً اصولياً عن نظام بيت المقدس بيت الله الذي بناه لله الملك سليمان بن داود كأني بهم لم

يقرأوا التوراة قط اقله السفر الذي فيه شرح نظام هيكل الله فصح فيهم القول «ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين سورة الانعام آية ١٥٥ ولذلك اخذوا يخبطون في هذه المسئلة خبط عشواء ولو درسوا حق الدراسة الاماكن التي يشرح فيها نظام بيت الله في التوراة كالاصحاح ١٦ من سفر الملوك الاول واصحاح ٤ من سفر الايام الثاني لكانوا في غنى ان ارادوا عن وصمة هذا الخبط غير الجدير بمثلهم ولكن ربما لحظوا عدم موافقة النص القرآني لنصوص التوراة من هذه الحيثية فاعرضوا عن التوراة وحاولوا كذا شرح النص كأن ليس للتورة او الكتاب (جملة) وجود ولا لاهله من اثر وهنا نقدم الى تفصيل بيت المقدس ونظامه في الخدمة بكل وجازة لا يخفى على اخي المسلم النبيه ان بيت المقدس بيت الله الذي بناه لله بامر الله ورسم الله في مدينة اورشليم سليمان كان ثلاثة اقسام القسم الاول منه هو الدار الذي كان يجتمع فيه الشعب للصلاة صباحاً ومساء وكان في هذه الدار المذبح النحاسي لتقديم الذبائح والمحرقات عليه وكان ايضاً فيه البحر النحاسي والمراحض لاغتسال الكهنة . والقسم الثاني وهو اصغر من الدار كان طوله اربعين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً وهذا القسم يسمى القدس كان فيه مائدة مقمعة بالذهب يوضع عليها خبز الوجوه من سبت الى سبت وهو اثنا عشر رغيفاً على عدد اسباط بني اسرائيل الاثني عشر وعشر منائر من ذهب خالص عن اليمين وعن اليسار لكل منارة سبعة مصابيح للاضاءة ومذبح لايقاد البخور عليه من ذهب خالص والقسم الثالث الداخلي وهو ما يلي القسم الثاني يدعي المحراب وقدس الاقداس اي المكان الاقدس من القسمين الاولين طوله

عشرون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً كان فيه تابوت العهد الذهبي الذي فيه وصايا الله العشر مكتوبة باصبع الله على لوحين من حجر وايضاً فيه مبخرة من ذهب وقسط (جرة) من المن الذي كان يأكله بنو اسرائيل في البرية وضع للتذكار. انظر القول « و بنى داخله لاجل المحراب اي قدس الاقداس سفر الملوك الاول اصحاح ٩:١٦ وادخل الكهنة تابوت عهد الرب الى مكانه في محراب البيت في قدس الاقداس ... وجذبوا العصي فتراءت رؤوس العصي من القدس امام المحراب» ١مل اصحاح ٨:٦و٨

نظام خدمة بيت الرب

· يومياً كان يدخل كهنة الله الى القسم الاول (الدار) يتقدمون اولاً الى المراحض ويغتسلون بالماء ثم يقربون الذبائح والذبيحة الصباحية والمسائية على المذبح النحاسي والذي كان عليه من ثم من الكهنة ان يدخل الى القدس اي القسم الثاني من الهيكل كان يغتسل ويدخل لاجل اصلاح سرج المنائر وايقاد البخور العطر المصنوع خصوصي لبيت الرب على مذبح البخور ولاجل نزع الخبز العتيق عن المائدة ووضع خبز طري جديد مكانه من سبت الى سبت كان يومياً يخدم الكاهن في القدس هذه الخدمة واما مكان قدس الاقداس داخل المحراب ممنوع من الله دخول أحد لا كاهن ولا نبي ولا عامي الا رئيس الكهنة فقط اي الحبر الاعظم كان حسب امر الله يدخل اليه مرة في السنة في يوم معين في عاشر الشهر السابع الموافق لعاشر شهر تشرين اول في ذلك اليوم فقط يدخل رئيس الكهنة الى داخل قدس الاقداس المحراب

بشيء من دم الحيوان الذي يكون قد ذبحه لله و بقليل من البخور المقدس و بعد ان يجعل البخور على النار امام الرب وتغشى سحابة البخور غطاء التابوت يأخذ من ذلك الدم الذي معه و ينضح باصبعه منه على الغطاء وامام الغطاء سبع مرات يفعل ذلك من دم التيس ومن دم الثور تكفيراً عن نفسه وعن الشعب ثم يخرج ولا يعود الى ان يدخل الى داخل المحراب الا في مثل ذلك اليوم في السنة التالية فانظر وتدبر اذا كان لا يجوز لاحد من كهنة الله ولا من انبيائه ان يدخل الى داخل المحراب قدس الاقداس الا الكاهن الاعظم مرة في السنة في يوم معين بذلك النظام كيف جاز ان تدخل اليه فتاة لتقيم فيه وكيف يجوز لزكريا ان يدخل الى هذا المكان الاقدس المرة بعد المرة ليرى مريم ومن يتجرأ على محاولة ذلك يموت حالاً واي ذكر لذلك في كتاب الله فقل لي يا اخي ويا عزيزي المسلم او قل لنفسك اذا كان الامر هكذا في الكتاب الذي انزله الله على موسى و ورثه بني اسرائيل وهم اهله كما ينص القرآن شاهداً فما مصدر هذه الحكاية في القرآن المنافية لما في الكتاب وهل منافاتها لصراحة الحديث والنص في كتاب لا تبعث الى الريب بصحتها بلى فلا حول ولا ...

القضية الثانية

انتباذ مريم وتبشيرها بالمسيح

جاء في سورة مريم « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً

سوياً. قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً . قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً ذكياً. قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغياً. قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضياً. فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً» (سورة مريم آية ١٥—٢١)

التفسير

«انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً» اعتزلت عنهم شرقي بيت المقدس او شرقي دارها «فاتخذت من دونهم حجاباً» ستراً «فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً» اي بصورة شاب امرد سوي الخلق (تام الحسن والجمال) فاستعاذت بالله منه فاخبرها انه رسول ربها اليها ليهب لها غلاماً ذكياً «فحملته» حبلت به «فانتبذت به مكاناً قصياً» بعيداً من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار. بيضاوي جزء ٢ وجه ٢٠ و٢١

الجلالين روحنا جبرئيل «بشراً سوياً تام الخلق . . . ورحمة منا» لمن آمن به (على هامش الوجه)

ملاحظة

انك ترى بين هـذه الرواية في سورة مريم والرواية في سورة آل عمران بخصوص مريم بوناً شاسعاً واختلافاً يتعذر ائتلافه ولا نعلم سبباً لاغضاء هؤلاء الشراح الطرف عن هـذا التباين بين الروايتين في السورتين مقتصرين على النظر في مفاد نص كل منهما على حدته من دون التفات الى امر التوفيق بينهما الامر غير الخليق بالمتعرض لشرح القرآن بيد ان المسلم الحر لا يقـدر

ان يغض النظر عما يرى من البون والخلاف بين نصوص القرآن ورواياته لانه يرى ان الغض عن ذلك نقص لا يخلق بذي اللب والتعقل انظر ان في الرواية من سورة مريم انه كان لها اهل ساكنة معهم كما في النص «اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً . . .» وليس في هذه السورة اقل اشارة الى ما جاء بشأنها في سورة آل عمران من ان امها يوم ولدتها اتت بها الاحبار في بيت المقدس وان الله كفلها زكريا وانها وضعت في المحراب الى آخر الرواية . فكيف كانت في محراب بيت الله بكفالة زكريا منذ ولادتها الى ان بشرت من ملاك الله بالمسيح وكانت في الوقت قبل تبشيرها وحبلها بالمسيح ساكنة مع اهلها الى ان اعتزلت عنهم ثم بشرت من الملاك بالمسيح وهي بالقرب منهم يفصلها عنهم حجاب اليس في ذلك اختلاف بين وتناقض لا يجمع .

ثم ان ما يزيد هذا البون بين الروايتين جلاء والمسلم النبيل ارتباكاً وحيرة هو ان سورة مريم التي لا اشارة فيها ولا لمحة ان امها اتت بها يوم وضعتها الى الاحبار في بيت المقدس وكفلها زكريا الى آخر المقال وهي مكية اي ان محمداً قالها في مكة قبل هجرته الى المدينة وسورة آل عمران هي مدنية قالها محمد في المدينة يثرب بعد هجرته اليها ولا نعلم كم كانت المدة بين الروايتين اي ليس في سورة مريم المكية ادنى الماع الى ما في سورة آل عمران ان المدنية بخصوص مريم ولا في سورة آل عمران كلمة او حرف من نوع ما جاء من قصة مريم في سورة مريم كأن الصورتين تنصان عن مريمين لا نسبة بينهما في الحال والمكان تأمل . فما ابعد هاتين الروايتين في السورتين عما جاء في الانجيل عن مريم ام المسيح كما ترى في انجيل لوقا وفي انجيل متى ففي

الاول « وفي الشهر السادس (لحبل اليصابات امرأة زكريا) أرسل جبرئيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذرآء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذرآء مريم فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها الرب معك مباركة انت في النساء فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله وها انت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى . . . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلاً فاجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » لوقا اصحاح ١: ٢٦—٣٦ وفي الثاني « اما ولادة المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان باراً ولم يشأ ان يشهرها اراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف بن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم » متى اصحاح ١ عدد ١٨—٢٢ فهل ترى من منافاة بين الروايتين او شيء من النقيض كلاً

ثم انك لدى تدبر شرح المفسرين للقصة في سورة مريم نراهم لم يشرحوا الشرح المقتضى لها بل اكتفوا منها بغير المهم عن المهم وبالبين الغني عن التفسير الى الغامض الذي يدعو الى دقة النظر واعمال الفكرة ففسروا « انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً » اعتزلت عنهم شرقي بيت المقدس او شرقي

دارها ... «وانتبذت مكاناً قصياً» بعيداً من اهلها ورآء الجبل وقيل اقصى الدار وهذا مفهوم من ذات النص وها لمريم انتباذين الاول قبل تبشيرها بالمسيح وحبلها به والثاني بعد ذلك وحضرات المفسرين بخلوا على القارئ ببيان السبب لانتباذها الاول كما ان القرآن لم يشر الى ذلك فما الداعي عندهم الى ذلك ولم فعلت ذلك (حسب النص) لم اعتزلت اهلها وانفردت عنهم وهي لم تبشر بعد بالمسيح. اذ لك كان منها عن شجار وخصام بينها و بين اهلها ذلك من شأن اسرة طاهرة كاسرة مريم ولا يتوقع من فتاة مباركة قديسة كمريم ان تعتزل اهلها بسبب خلاف جزئي ولا يناسب ذلك لها واذا اتت ذلك الا يبعث ذلك على سوء المظنة بها ؟

ثم لنعد الى النظر باوفر تدقيق في مسئلة اختلاف الروايتين بخصوص مريم أم المسيح في سورة مريم وسورة آل عمران ألا يتأتى للمسلم النبيه لدى تدبره هاتين الروايتين في هاتين السورتين الفكر يا ترى ما سبب البون والخلاف الكلي بينهما بخصوص مريم وهما في قرآن واحد حتى ان الواحدة منهما تذكر شيئاً مما في الاخرى ولا تشر اليه وهو غريب كأن الروايتين لرجلين متباينين رأياً ومشرباً فلماذا وما سبب ذلك ؟ فاقول لمثل هذا النبيل اخي مهما قدحت زناد الفكرة بل مهما اجهد علماء الاسلام عقولهم في البحث في سبيل معرفة ذلك لا يرى لديهم سوى سبب واحد سواء اعتبروه او لم يعتبروه وهو ان النبي اذ كان في مكة القيت على مسمعه الرواية الاولى التي بدأتها واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً ... فصدقها وامر بكتابتها في سورة مريم ثم بعد ذلك بنحو خمس او ست سنين او اكثر اذ كان قد

توطن في المدينة جرى بينه وبين بعض ائمة النصارى او رهبانهم حديث بخصوص مريم فقصوا عليه القصة الاخرى التي لا شيء فيها من الاولى والتي ابتدأوها « ان امرأة عمران قالت رب اني نذرت لك ما في بطني والتي تجل مريم عما قيل عنها في الرواية الاولى المكية فاعجبته وامر بكتابتها في سورة آل عمران المدنية غير ملتفت الى شيء من رواية مريم المكية كأنها لم تكن منه ولا يبعد انها برحت من باله وذهبت من ذهنه نسياً منسياً لانه يظهر لك من النص في القرآن ان محمداً كان احياناً ينسى ما فاه به وامر بكتابته في القرآن وها لك النص « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير » سورة البقرة آية ١٠٦ وقد ذهبوا في تفسير هذه الآية مذاهب نأتي منه بشيء قاله البيضاوي قل «او ننسها» اي ننسي احداً اياها وتنسها اي انت يا محمد وقرأ عبد الله « ما ننسك من آية او ننسخها » هذا ولان القرآن لم يكن في حياة محمد مجموعاً معاً الى مجلد واحد وكان كما يؤكدون كثير منه في حافظة صدور الرجال ومعظمه مكتوباً جملاً او قطعاً صغيرة على شيء من الورق وعلى سعف النخل وعلى اللخاف (مارق من الحجارة) وعلى العظام فلا غرابة ان نسي محمد شيئاً مما قاله او امر بكتابته منذ ايام او سنين والنص يؤكد ذلك . ولما جمعوا القرآن على عهد خلافة ابي بكر جمعوه كما تقرأ من شفاه البعض وما وجد مكتوباً على مثل الادوات المذكورة ولم يسع جامعوه ثم الا ويجمعوا فيه الناقض والمنقوض والمنسي وغير المنسي خشية غضب الله والرسول فجاءت هاتان الروايتان على هذا التباين والخلاف الغريب كما جاء كثير غيرها على نحو ما مر بك من قصة يوسف وقصة فرعون والبحر والاختلاف في امر

نجاته وهلاكه بين الروايتين في سورة يونس وسورة القصص وقصة صنع العجل لبني اسرائيل وما فيها من البون والخلاف بين الروايتين في سورة الاعراف وسورة طه ه فتدبر لماذا هذا النسيان والانساء ؟

القضية الثالثة

ولادة مريم ابنها المسيح في البرية بعيداً عن اهلها وتكليمه اياها من تحتها

(النص) «فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً . فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً . وهزي اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلي واشربي وقري عيناً . فاما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً» (سورة مريم آية ٢١—٢٥)

تفسير بعض النص

(البيضاوي) الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه وهو ما بين العرق والغصن ... فناداها من تحتها «عيسى» الا تحزني قد جعل ربك من تحتك سرياً «جدولاً» وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلي واشربي اي من الرطب المتساقط وماء السري وقري عيناً «وطيبي نفسك» فاما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً صمتاً وقد قري به

او صياماً وكانوا لا يتكلمون في صيامهم « فلن اكلم اليوم انسياً » بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي

(الجلالين) فاما ان ترين من البشر احداً « فيسألك عن ولدك » فقولي اني نذرت للرحمن صوماً اي امساكاً عن الكلام في شأنه. بيضاوي وجه ٢١ و٢٢ والجلالين على الهامش

ملاحظة

لا نعلم لماذا هؤلاء الشراح اعرضوا عن ذكر سبب ما لهرب مريم الى البرية قرب ولادتها ولدها مع ان ذلك في نظر الناس من الاهمية بمكان او لا يرى القارئ النبيه ان هرب مريم المباركة هذا لا يحسن بها وهي حبلى بقوة روح الله وان الله الذي اصطفاها لتكون ام مسيحه هو يحامي عنها و يعلن برها الم يكن لها ايمان بالله انه ترس لها بلى وفي كل حال هذا وان تكليم المسيح امه على اثر ولادتها اياه في ضيق روحها ما كلمها حسب النص ليس هو بالشيء الكبير على من هو كلمة الله رب المعجزات والآيات غير ان القصة بكليتها غريبة عما جاء في انجيل الله كما ترى من حيث مكان ولادة يسوع المسيح والاحوال التي دعت ام المسيح قرب ولادته الى هذا المكان اتماماً للنبوة كما تقرأ « وفي تلك الايام صدر امر من اوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونة [1] فذهب

---

[1] اي العالم المعروف في تلك الايام (وهو من باب تسمية الجزء باسم الكل) ومن المعلوم ان الدولة الرومانية في ذلك العصر كانت سائدة على معظم البلدان المعروفة في اوربا واسيا وافريقيا

الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته (واضطراراً امتثالاً لاوامر الحكومة لزم ان مريم وخطيبها يوسف يكونان في الوقت في مدينة ابيهما داود)... فصعد يوسف ايضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية[١] الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى و بينما هما هناك تمت ايامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود اذ لم يكن لهما موضع في المنزل» لوقا اصحاح ٢ عد ١—٧ اذاً حسب انجيل الله ولد المسيح في مدينة جده داود وفي اصطبل البهائم لا في برية ولا بلصق جذع نخلة

وجاء في انجيل متى «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى اورشليم قائلين اين هو المولود ملك اليهود فاننا رأينا نجمه في المشرق واتينا لنسجد له فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع اورشليم معه فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم اين يولد المسيح فقالوا له في بيت لحم اليهودية لانه هكذا مكتوب بالنبي وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل» اصحاح ٢ عدد ١ — ٦ فانظر هل من موافقة او شيء من المصادقة بين قصة القرآن ونص الانجيل بشأن مكان ولادة المسيح اتأسف والمسلم النبيه ان لاشيء من ذلك . ثم ان ما يستدعي قارئ

[١] كانت تقسم ارض اسرائيل في تلك الايام الى ثلاثة اقسام. اليهودية نسبة الى سبط يهوذا وهو القسم الجنوبي من البلاد. والسامرة وهي تلي اليهودية شمالاً. والجليل شمالي السامرة

القرآن النبيه ويقضي عليه بالاستغراب والانذهال . القول فيه «ان المسيح قال لامه غب ولادته منها . . . . كلي واشربي وقري عيناً فاما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً»

فيا اخي المسلم الحر اسألك الا ترى ذلك ينافي الحقيقة ومريم اكلت وشربت ايجتمع يا حبيبي الفطر والصوم وهل يعقل من ذي العقل ان المسيح كلمة الله بعد ان أمر امه «كلي واشربي» يقول لها على اثر ذلك «فاما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً» ايصدر ذلك عن مسيح الله وكلمته ايأمرها ان تدعي خلاف الواقع الصحيح حاشا لكلمة الله من مثل ذلك فمن اين اذاً هذا القول وما الباعث اليه نترك الحكم في ذلك لفطانتكم وعدالتكم ويعجبك تفسير المفسرين لهذا النص بان البيضاوي اول اصوماً . صمتاً ثم استدرك هذا الخطأ بقوله وقد قرئ به او صياماً وكانوا لايتكلمون في صيامهم والجلالين اولاه «امساكاً عن الكلام» فقل لي رعاك الله اتحتمل كلمة صوم تأويلاً ومن لا يفهم كلمة صوم بالانقطاع التام عن الاكل والشرب ومن اين حضرة البيضاوي عرف ان شعب الله في القديم ما كانوا يتكلمون في صيامهم. هل رأى ذلك في التوراة يظهر انه كان غافلاً عن دراسة التوراة وقليل التحري في الامور بل متى ادركته الحشرة اتى من عند نفسه بما يخاله ينفس الكربة مثل قوله في تفسير «ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم» ولعلهم سموها اوزاراً لانها اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد لانه قيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراق المصريين فاخذه بنو اسرائيل بيضاوي جزء ثاني وجه ٣٩ من اين عرف ان الغنائم من العدو لم تكن تحل لشعب الله الحاصل ان تأويل هؤلاء

الشراح لكلمة صوم في النص اعلاه هو تأويل ساقط لا يجدر بمثلهم فكأني بهم لما رأوا كلمة «فقولي اني نذرت للرحمن صوماً» تنافي الواقع لانها كانت آكلة وشاربة في ذلك اليوم ورأوا الشطر الاخير في النص «فلم اكلم اليوم انسياً» ارتأوا استناداً على هذا الجزء ان يؤلوا كلمة صوماً بالصمت والامساك عن الكلام فلم يجدهم ذلك فتيلاً

تذييل

ورد في القرآن عدة نصوص ان القرآن انزل من الله مصدقاً لما مع اليهود والنصارى اي التوراة والانجيل الذي بايديهم الكتاب الذي يسميهم القرآن اهله وان محمداً كرسول الله جاء مصدقاً لما معهم .

منها جاء في سورة البقرة «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم» آية ٣٨ و٣٩

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم آية ٩٠ واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله . قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم» آية ٩٢

وفي سورة آل عمران «واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» آية ٨٢

لا اعلم كيف عقلاء المسلمين واذكياؤهم يتدبرون هذه النصوص وهم يرون انه لا القرآن ولا محمد مصدقين للتوراة والانجيل مع اليهود والنصارى

التصديق الكافي الوافي لما في اسفاره تاريخياً ونبوياً وشرعياً فمن اغرب الغرائب وجود هذه النصوص في القرآن غير المنطبق على حقيقة هذه الدعوى فيها هل رأيت فيما تقدم في هذه الرسالة صحة هذه الدعوى الم تر منها ان الكتاب في واد والقرآن في واد . انظر اذا كان القرآن مصدقاً لما مع اهل الكتاب فيلزم ان يكون من مشيدات الدين المسيحي فهل هو كذلك واذا كان من مشيدات الدين المسيحي فلا يكون على هـذا الاسلوب بل على اسلوب تأليف مسيحي شـاهداً للنعمة والحق بيسوع المسيح وليس القرآن بشيء من ذلك بل انما القرآن ينافي الدين المسيحي على وجه الاطلاق كما يراه كل قارىء مسلم وغير مسلم فالقرآن انما هو دين غير دين الكتاب ودين الكتاب غير دين القرآن والفرق كلي لا جزئي واذا كان محمد كرسول الله مصدقاً للتوراة والانجيل كتاب الله مع اهله فماذا يكون بهذا الاعتبار الا مسيحياً من دعاة الدين المسيحي وانصـاره ان اهل الكتاب بالاجمال يرحبون جداً بكل من يجيئهم من الامم مصدق لما معهم من كتاب الله لانه اذ ذاك يكون قد صار منهم دائناً بدينهم لا غريباً منهم نداً لهم . ثم اذا كان محمد وقرآنه مصدقين لكتاب الله مع اليهود والنصـارى اهله يلزم من ذلك كونهما مصدقين له تصديقاً عمومياً لا خصوصياً اي انهما مصدقين لكل الكتاب تاريخياً وشرعياً ونبوياً فهل هما كذلك لنرى . ان التوراة مع اليهود تعلن ببيان و بساطة براءة يوسف بن يعقوب سيرة وسريرة وقط لم يذعن لامرأة سيده اذ راودته عن نفسه يوماً فيوماً انظر سفر التكوين اصحاح ٣٩ عدد ٧ — ١٢ بل لما مسكته بثوبه لتجذبه اليها ليضطجع معها ترك ثوبه بيدها وخرج خارجاً والقرآن

يقول ان تلك المرأة همت به وهم بها سورة يوسف آية ٢٣ و٢٤ اي هم بها ليرتكب معها الفحشاء اذاً ما وجه تصديق القرآن للكتاب الذي مع اليهود من هذه الجهة . التوراة تنص بكل صراحة ان هرون اخا موسى صنع العجل الذهبي لبني اسرائيل في مدة غياب موسى في الجبل انظر سفر الخروج اصحاح ٣٢ عد ١—٥ وهـذا يوافقه النص في سورة الاعراف وهو «والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره قال (هرون) ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين» الى آخر النص آية ١٥٠و١٥١ فترى ان القرآن صدق الكتاب من هذه الجهة في هذه السورة ثم لم يلبث ان عدل عن ذلك في سورة طه حيث يقول النص ان السامري صنع لبني اسرائيل ذلك العجل الى آخر المقال في هذه السورة المناقضة لسورة الاعراف حيث لا سامري قط في ذلك الزمان كما رأيت فيما تقدم في مسئلة العجل والسامري فكانك بكاتب القرآن رأى نفسه غلط واخطأ بقوله وفيما كتب في سورة الاعراف بخصوص هرون والعجل فبادر الى تصحيح خطأه في سورة طه بان قال بل السامري صنع ذلك العجل ولارتبـاك وحيرة اتباع محمد ترك المبطل والمبطل معاً في القرآن فلا هو صدق الكتاب من هذه الجهة ولا هو وافق بعضـه بعضاً ومثل ذلك في امر قصة مريم ام المسيح في سورة مريم وسورة آل عمران كما مر بك فما وجه تصديق القرآن لما مع اليهود والنصارى وايضاً ان التوراة تنبئ كما نرى ان المسيح منتظر بني اسرائيل من ايام موسى الى النبي ملاخي كملك وفادٍ وانه قدير بجسد انسـان اله عجيب

وانسان متواضع مهان محتقر يموت فداء البشر الخطاة واليك بعض النصوص النبوية بخصوصه

(الاول) في النبي اشعيا «لانه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً اباً ابدياً رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الابد. غيرة رب الجنود تصنع هذا اصحاح ٩ عدد ٦و٧

(الثاني) في النبي ميخا «اما انت يا بيت لحم افراتة وانت صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل» اصحاح ٥: ٢ لاحظ انه في نبوة اشعياء ان هذا المولود الاله القدير هو آب ابدي وهنا في النبي ميخا ازلي المخرج فمحصل النبوتين ان المسيح اله ازلي سرمدي

(الثالث) في النبي اشعياء ان المسيح الآتي سيكون من جذع يسى (داود بن يسى) وانه ايضاً اصل يسى اي انه من حيث كونه انسان هو من نسل يسى ابي داود ومن حيث كونه اله هو اصل يسى اي ربه علة وجوده اصحاح ١١: ١—١١

(الرابع) في النبي اشعياء النبوة عن المسيح انه رجل اوجاع محتقر من شعبه (عظماء بني اسرائيل وائمتهم) وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا والرب وضع عليه اثم جميعنا . . . انه ضرب من اجل ذنب شعبي . . . اذ جعل نفسه ذبيحة

اثم . . . من اجل انه سكب للموت نفسه واحصي مع اثمة وهو حمل خطيـة كثيرين وشفع في المذنبين اصحاح ٥٣

(الخامس) في النبي دانيال «سبعون اسبوعاً قضيت على شـعبك وعلى مدينتك المقدسـة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي . . . فاعلم وافهم انه من خروج الامر لتجديد اورشليم و بنائها الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً . . . وبعد اثنين وستين اسبوعاً يقطع المسيح (اي يقتل وفقاً لنبوة اشعياء اصحاح ٩: ٢٤و٢٥و٢٦ واتمام هذه النبوة الالهية هو في ولادة المسيح وحياته واعماله وصلبه وموته فداء البشر الخطاة وقيامته فانظر وتدبر هل جاء محمد والقرآن مصدقين لهـذه الاقوال الالهية عن المسيح ابن الله وابن داود وما في الانجيل بشأنه كلا وكلا . . وما الانجيل يا اخي الا هو من وجه تاريخ تبشير ملاك الله مريم في مدينة الناصرة بالمسيح وولادة المسيح منها في بيت لحم يهوذا او تاريخ حياته واعماله الرحيمة العجيبة وتعاليمه السامية وموته مصلوباً بايدي عظماء واحبار أئمته وقيامته من الموت صباح اليوم الثالث لموته وظهوره مراراً لتلاميـذه مدة اربعين يوما وصعوده الى السماء وسكبه الروح القدس على تلاميذه ومن وجه آخر هو بشارة الله للعالم انه عمل لهم الفداء بدم ابنه الوحيد لغفران خطايا كل من يؤمن به ودعوة الخطـاة لمصالحتهم مع الله بيسوع المسيح الذي بذله لاجلهم مع تاريخ اعمال بعض رسله بالكرازة باسمه ورسائل بعضهم الى الكنائس التي اسسوها و بنوها للمسيح في اسيا واوروبا فيا اخي وصديقي ها الانجيل لديك بلغته الاصلية اليونانية و بالسريانية والعربية فاذا قرأته من اوله الى آخره لا تجد

فيه الا المسيح ابن الله وابن مريم فادي الخطاة بدمه وسيط الصلح بين الله والناس دمه الكريم يطهر من كل خطية كل من يؤمن به حسب انجيله وان لا اسم آخر غير اسمه تحت السماء يستطيع الانسان ان يخلص به فهل جاء محمد وقرآنه مصدقين لهذه الحقائق في الكتاب كلا بل جاءا منكرين كل الانكار لحقيقة الفداء بيسوع المسيح ابن الله الحقيقية التي هي المحور الذي تدور عليه كل اسفار الكتاب. اذاً ما وجه تصديقهما لما مع اليهود والنصارى من كتاب الله انظر ما ذلك الا مجرد دعوى وهل يقوم الادعاء مقام البينة والبرهان وكيف يجتمع الانكار والتصديق في امر واحد ومسئلة واحدة ثم ان هنا نكتة مهمة وهي ان القرآن لا يقول ليهود ونصارى تلك الايام انه أنزل مصدقاً للكتاب الذي كان مع ابائهم واجدادهم منذ الف او الف وخمس مئة سنة لا لا بل مصدقاً لما معكم يا يهود ونصارى هذا الزمان ذلك كما لا يخفى المسلم اللبيب ختم من محمد والقرآن على صحة وسلامة التوراة والانجيل في ايام محمد من شوائب التحريف والتصحيف ويا للاسف انه مع هذه الشهادة المعتبرة لم يكن القرآن ولا محمد مصدقين التصديق الصحيح لكتاب الله مع اليهود والنصارى كما مر بك ولا المسلمين في هذا العصر النير وكأني بيهود ونصارى بلاد العرب يجاوبون محمداً اي ابا القاسم كفاك وقرآنك تدعيان انكما جئتما مصدقين لما معنا كتاب الله الذي اورثنا وانتما على خلاف ادعائكما هذا على خط مستقيم وكفاك يا محمد تلومنا لاننا لا نؤمن بك وننصرك ونصدق كلما تقول وتدعي ان كتاب الله معنا ينبئ في الانبياء ان المسيح الفادي يأتي من ذرية داود من سبط يهوذا ويولد في بيت لحم يهوذا وان هذا المولود العجيب

على خلاف السنة الطبيعية هو اله قدير في جسد انسان وانه فادي الخطاة بموته لاجلهم وانه نور العالم وحياة النفوس وانه صلب وقبر وقام وهو الطريق والحق والحياة أتصدق كل ذلك يا محمد اتؤمن بابن الله هكذا لا لا لا لاتصدق ولا تؤمن فكيف والحالة هذه تقول في قرآنك انك جئت من قبل الله رسولاً مصدقاً لما معنا لو كنت يا ابا القاسم جئت مصدقاً لما معنا كنت منا مسيحياً بحتاً لا رسولاً بل داعياً من دعاة الدين المسيحي ولما للاسف لم تكن حقاً مصدقاً لكتاب الله معنا بل مقاوماً ومنكراً لغاية الكتاب ولاهم قضاياه ومضامينه واعلاناته البينة الصريحة التى هي البر والخلاص والحياة الابدية لكل من يؤمن بيسوع المسيح ابن الله كما ترى في التوراة والانجيل كان الاحرى بك اذاً القول انا جئت رسولاً من الله مكذباً لما معكم ولآت بامورَ تناقض وتنافي كتاب الله الذي معكم لان يا ابا القاسم من المحال ان تكون مصدقاً لما معنا ولا تكون منا لان تصديق الشيء هو الايقان به فتصديقك وجود الله هو ايمانك بوجوده تعالى والتصديق القلبي للتوراة والانجيل ككتاب الله بلا مراء هو نفس الايمان به انه من عند الله ويلزم عن ذلك التسليم بما فيه والتدين والتعبد والسير باقواله واعلاناته ووصاياه واحكامه من دون سواه فهل انت فاعل كذا كلا أيخلق بك يا ابن عبد الله ان تدعي ما ليس فيك ومن يقبل دعوى قرآنك ودعواك انكما مصدقين للتوراة والانجيل اللذين بايدي اهلهما اليهود والنصارى الا الجهول الذي لا يعرف كتاب الله الا بالاسم وانا لنعجب والحق من كبراء اصحابك اولي النبل والفضل كابي بكر وعمر وعلي كيف لم يبحثوا معك في هذه القضية الكلية الاهمية مثل يا رسول ان القرآن الشريف يقول اني انزل من عند

الله مصدقاً للكتاب مع اليهود والنصارى ويقول لهم بصيغة المخاطب «مصدق لما معكم» و يقول لهم عنك «وجاءكم رسول مصدق لما معكم» اي التوراة والانجيل فيا رسول الله دعنا ننظر في التوراة والانجيل معهم لنقف على جلية الامر. يظهر انهم ما تحدثوا مع محمد بهذا الامر او سأله حيناً ما بعضهم عن ذلك كما من طرف خفي فاجابه ومالك ولهذا السؤال كما جاء في القرآن «ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين . . . فقد جاءكم بينة عن ربكم (يعني القرآن) وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون» سورة الانعام آية ١٥٦ فيظهر لك من ذلك ان بعض اصحابه قالوا له يوماً ما مؤداه يا رسول الله اذا كان كتاب الله التوراة والانجيل والزبور انزل من الله على اليهود والنصارى من قبلنا لماذا نحن غافلون عن دراسته وما يضرنا لو درسنا ونظرنا ما فيه من شرائع الله وفرائضه واحكامه وسير انبياء الله الاقدمين الا نكون بذلك اكثر علماً بالدين القويم فاجابهم لكل امة رسول من الله وكتاب وما وافق اولئك لا يوافق هؤلاء والله اعلم بمصالح العباد وموافقات الزمان وها لكم من ربكم قرآناً بلغتكم بينة من ربكم وهدى ورحمة الا يكفيكم؟ بلى يا رسول الله وذهبوا صامتين . اه يا اخي ما كنت لاود الخوض في هذه المسألة محاشاة مس احساسات المسلم الاديب لكن هو الحق لا ينبغي ان يستحي به وهو حياة القلوب ومنية النفوس فالحق يا عزيزي جارح وحبذا جرح الحق وسلام الله وبركاته لمحبي حقه المساكين والمسكين به (انتهى الكلام في مصادر الاسلام)

المسألة الثانية

الزعم ان لكل امة رسولاً فيها من الله او بعث الله في كل امة رسولاً منها اليها

وهاك نص القرآن في هذا الشأن في خمسة مواضع ثلاثة في سورة يونس واثنان في سورة النحل

(١) ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين آية ١٢

(٢) ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون آية ٤٧

(٣) ثم بعثنا من بعده (بعد نوح) رسلاً الى قومهم فجاؤهم بالبينات آية ٧٣

(٤) ولقد بعثنا في كل امة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الخ آية ٣٥ من سورة النحل

(٥) ويوم نبعث في كل امة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء سورة النحل آية ٨٧

ملاحظة

لا يخفى ان هاتين السورتين اللتين تحويان هـذه النصوص هما مكيتان حيث كان محمد ضعيفاً مهاناً من قومه قريش واذ انكروا عليه دعواه انه رسول

الله اليهم وهو يؤكد لهم ان الله بعثه اليهم نبياً ورسولاً كما بعث قبله في كل امة رسولاً منها اليها ولم يشاء الله ان يحرم العرب من هذه النعمة اسوة بباقي الامم وان مهمته كرسول الله اليهم انما هي دعوتهم الى توحيد الله سبحانه وعبادته من دون اشراك به وابلاغهم ما ارسل به اليهم من ربهم وهو التبشير والانذار ليس الا ولا يخفى ما في هذا الكلام الجيد من داعي تقلب القلوب اليه وذلك كان بغاية المناسبة له في تلك الاحوال الصعبة. فدعنا يا عزيز ننظر هل يصدق التاريخ والحال الحاضر على هذه النصوص مؤكد ان عامة المسلمين المعتقدين انزال القرآن جملة من عند الله على محمد بن عبد الله لا يشكون في صحة هـذه الاقوال ان الله ارسل في كل امة رسولاً منها اليها كما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم مقيمين الدعوى مقام البرهان وهو من ابطل البطلان وما تراهم يفعلون اذا بدا للعيان كالشمس في رابعة النهار ان الله لم يفعل ذلك لم يبعث في كل امة رسولاً فيها منها ايكذبون ما لا يكذب فان قلوا ألم يبعث الله نوحاً رسولاً نذيراً لقومه الطغاة قلنا بلى ولكن ايفوت اذهانهم ان قوم نوح كانوا كل ذرية آدم بلغة واحدة فبالضرورة ان يكون رسول الله اليهـم منهـم . وقد بعث الله في بني اسرائيل رسلاً وانبياء كثيرين من موسى الى المسيح مدة نحو ١٦٠٠ سـنة وقط لم يبعث نبياً ورسولاً في سواهم من الامم سوى ما جاء في القرآن عن قبائل عاد وثمود ومدين التي لا ذكر لها ولا اشارة في كتب انبياء الرحمن ثم محمد باعتبار دعواه وكيف كان فان هذه الثلاث او اربع قبائل ليست هي كل امم الارض والحاصل ان القول ان الله بعث في كل امة رسولاً فيها منها لا يعضده التاريخ و يؤيده الكتاب أجل قد بعث الله الى

قوم سدوم الاشرار نذيراً لانذارهم ودعوتهم الى التوبة ولكنه ليس هو منهم بل هو لوط ابن اخي ابرهيم انظر سفر التكوين اصحاح ٣ عدد ٥—١٣ وقد ارسل الله يونان النبي من انبياء بني اسرائيل الى مدينة نينوى لانذار اهلها الخطاة ويسوع المسيح بعد قيامته من الموت ارسل رسله الى جميع الامم الى العرب والفرس والى الهند والصين والترك والتتر والروم والمصريين وسواهم من امم الارض ليكرزوا لهم بانجيله ويبشروهم بنعمة خلاصه داعين الخطاة الى مصالحة الله به وهاك قول السيد لهم بهذا الشأن «دفع الي كل سلطان في السما وعلى الارض فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم. وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به. وقال لهم اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها» مت اصحاح ٢٨ عدد ١٨ و١٩ و٢٠ ومرقس اصحاح ١٦ عدد ١٥ وايضاً في يوحنا «سلام لكم كما ارسلني الآب ارسلكم انا» اصحاح ٢٠ عدد ٢١ ولكي يكونوا وهم جميعهم اسرائيليون قادرون على القيام بمهمة ارساليتهم هذه الخطيرة سكب عليهم الروح القدس الذي قدرهم على التكلم بألسنة العالم ليكلموا كل امة بلسانها وعلى عمل القوات والعجائب برهاناً لهم ان الله ارسلهم اليهم انظر سفر الاعمال اصحاح ٢ و٣ عدد ١—١٠ فيا محمد نبي الاسلام ويا مسلمين اجمعين هل لكم ان تبينوا لنا ولانفسكم اي رسول بعث الله في امم آسيا وافريقيا واوروبا خلا بني اسرائيل كبني موآب وبني عمون وبني ادوم وامم الاموريين والحثيين والفلسطينيين والاراميين والاشوريين والبابليين والفرس والمصريين واليونان والرومان والترك والتتر لا تستطيعون ذلك لان الله لم يقم نبياً ولا رسولاً من هذه الامم لهم اجل ان الله سبحانه جعل في كل امة مشهورة من امم الارض

بعض رجال حكماء افاضل محبين الصلاح والاصلاح لهم من النور الطبيعي دليلاً الى الله كما كان لحكماء العرب وادبائهم من ذلك كما رأينا فيما مرَّ عن العرب الجاهلية فهؤلاء علموا اقوامهم تعاليم ادبية حسنة والفوا لبلادهم شرائع صالحة كشرائع ادباء الجاهلية مثل شرع الحرم وحظ الذكر مثل الانثيين وغير ذلك كافلاطون وسقراط وارسطو وصولون من حكماء اليونان وكونفوشيوس و بوذه في الصين والهند ولكنهم ليسوا انبياء ورسلاً من الله بحصر المعنى كموسى وصموئيل وايليا والمسيح كما نرى في هذا العصر كثيرين من امثل هؤلاء واما ان الله سبحانه ارسل في كل امة رسولاً نبياً منها فهذا قط لم يكن ومحال بيانه واثباته وهل يجهل الباء المسلمين وعلماؤهم ان كل الذين اعتنقوا الدين المسيحي في اسيا واوروبا وافريقيا و ميركا وجزر البحار مما اعتنقوه بداءة بواسطة رسل المسيح الذين اتوهم منذرين لهم بانجيل الله ثم بواسطة دعاة الدين المسيحي كما في هذه الايام ومسلم ان كل رسل المسيح هم اسرائيليون فاين القول اذاً «ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فجاؤهم بالبينات . ولقد بعثنا في كل امة رسولاً » واذ هو واضح بكل جلاء ان الله لم يبعث في كل امة رسولاً اليها منها فما حكم المسلم المتعقل في هذه النصوص القرآنية أمن الله هي ام من الانسان ثم الا ان محمداً يدعي انه رسول الله الى الناس كافة حتى ايضاً الى الجن فكيف هو يكون كذلك والله على قوله خص كل امة برسول منها اليها كما خص العرب به واذ كان الله حسب القرآن بعث في كل امة رسولاً اليها منها بلغتها فتلك الامم هي بلا مراء في غنى عن النبي العربي الامي وعن قرآنه العربي الممنوع ترجمته الى لسانهم فيا أخي تعقل المسألة وانظر فيها نظر الانصاف هلا ترى ان هذه

النصوص المنافية لحقيقة الواقع والكائن هي على الاقل مدعاة الى الريب بكونها من عند الله واخيراً اقول اليس من الجور محاولة ارغام العقل على التسليم بصحة ما لا يراه من الصحة بشيء وانكار ما كان بيناً صحيحاً وهيهات يستطاع ارغامه على ذلك وهو حر ادبي لا يمس بلا ارغام يستطاع ارغام الفم على الاعتراف والجهر وصوت الضمير من دونهما كما في استطاعة المرء ان يضع حكم العقل جانباً بداعي عدم مناسبة الاحوال لكنه ليس له ان يسلبه حقه في التميز بين صحيح الدعاوي وفاسدها كما لا يقدر ان يسلب الفم حق حكم ذوقه في الاطعمة والاشربة بين حلو ومر وحار وبارد وما محاولة ارغام العقل على التسليم بصحة ما ينكر صحته الا حماقة وتهور مهلك وقانا الله شر ذلك

المسألة الثالثة

الجن

من عقائد الدين المحمدي ان الجن جنس عاقل بين الانس والشياطين منهم مسلمون مؤمنون بالله ومنهم كفار وهاك ما ورد بشأنهم في القرآن

«واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين. قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم» سورة الاحقاف آية ٢٨ و٢٩ و٣٠

«قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احداً .... وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً . وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذباً وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» سورة الجن آية ١و٢و٣و٤ و٥

ملاحظة

لم ير ولن يرى في كتاب الله التوراة والانجيل نص ما بوجود جنس عاقل في الارض متوسط بين الناس والشياطين قابل الاهتداء والتوبة الى الله يدعى الجن فليس في كتب انبياء الرحمن نبأ بذلك سوى نبأ ان الشياطين اعداء الله والناس في الارض ارواح شريرة غير قابلة التوبة والخضوع لله وانهم كانوا من ملائكة الله المقربين فهبطوا من مقامهم مخذولين لترفع صدر منهم اوليس ما يعقل لو كان الجن القرآن هؤلاء وجود لما اهمل ذكرهم او الاشارة اليهم في اسفار كتاب الله التي انزلت في مدة نحو ثلاثة الآف سنة من موسى الى رسل المسيح أيبقي الله ذكرهم طامساً هكذا نحو ثلاثين قرناً وهم قابلوا الايمان والاهتداء أيخلق ذلك بجلال الرحمن كلا اذاً ما رأيك في هذا الجنس المزعوم يا اخ البصيرة والنبالة تدبر امر هؤلاء الجن المزعومين اذاً على الفرض كان وجود لهذا الجنس لماذا لم يصرف الله بعضهم لاستماع كلام الله بفم كليمه موسى عن تكوين الله العالم وخلقه الانسان الاول وتاريخ الجنس البشري من آدم الى خروج بنو اسرائيل من ارض مصر ولاستماع شرع الله الذي اعطاه بني اسرائيل بيد عبده موسى ولا سيما سفر تثنية الشريعة الذي هو غاية في البلاغة

والفصاحة وذلك النشيد البليغ في آخر السفر كما يقال انه صرف نفراً منهم الى محمد ولماذا لم يصرف مثل ذلك الى داود لاستماع زبوره العجيب النظم والبلاغة الحاوي من الشعائر الروحية وبيان مجد الله وحكمته والطافه على اساليب تأخذ بمجامع القلوب الم يجئ في القرآن «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين» سورة الانبياء آية ٧٨ فلم لم يصرف مثل هذا النفر من الجن يستمعون لمن سخر معه الجماد والطير يسبحن . وبعد فاني استلفت ذهنكم الى ما جاء ايضاً في القرآن عن سليمن بن داود قال «وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون» سورة النمل آية ١٧ وايضاً ما جاء فيه عن سليمان وأحد عفاريته من الجن بخصوص عرش ملكة سبا «قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين الى آخر القصة» آية ٣٨:٤١

انظر هل قرئ او سمع قبل محمد في التوراة او من ائمة بني اسرائل وعلمائهم المعول عليهم انه كان لسليمان جند من الجن ها لسليمان ثلاثة اسفار في التوراة هل ترى في احدها شارة او لمحة ما الا انه كان له جند من الجن كلا لا ترى اذاً ما هذه الحكاية غير المعقولة ولا المنقولة يا اخي ايعقل من عاقل انه كان لسليمان جند من مثل هذه العفاريت القوية هكذا من الجن ولم يذكرها ولا اشارة اليها في كتبه ولا سواه من انبياء الله معاصريه ومتعقبيه نوه عنها اقل تنويه كلا لا يعقل . اكتم ذلك سليمان واصحابه وحاشيته وجنده والانبياء بعده ولم يظهر ويشهر حتى جاء محمد القرشي واعلنه في قرآنه بعد سليمان بنحو ١٦٠٤ سنين ايقبل العقل ذلك كلا. اذاً ما مصدر هذه الحكاية

الغريبة . الله ؟ والله لم يشر اليها قط في كتابه الذي اورثه بني اسرائيل «سورة المؤمن آية ٥٣» وهو كما يقول في القرآن «هدى وذكرى لاولي الالباب» واذا كان كما هو حق ليس الله سبحانه مصدرها اذاً ؟ فالمتبادر الى الذهن ان مصدرها يهود الحجاز فاما انها حديث خرافة من خرافاتهم المتداولة او انهم لدهائهم اختلقوا هذه الحكاية من عند انفسهم وقصوها على محمد و بعض اصحابه لغاية ان يبينوا ان سليمان اعظم جداً من محمد نبي مكة لانه ان كان صرف نفر من الجن الى محمد يستمعون قرآنه فقد فعل لسليمان ما هو اعظم من ذلك اذ حشر له جنداً من الجن ملازمين معسكره يستمعون له ويخدمونه اعجب واصدق خدمة واذا كان الله عز وجل اكرم سليمان مثل هذه الكرامة التي لم يكرم بها سواه من الانبياء والملوك فبلا جدال هو اكرم عليه من كل نبي ومرسل عدا يسوع المسيح كلمته وروحه حسب القرآن [1] وايضاً استدعي التفاتكم الى قضيتين في هذه المسألة (القضية الاولى) في النص الاول المتقدم ذكره عن الجن الذين كما قيل صرفهم الله الى محمد يستمعون القرآن «انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى» انظر ان اربعة وثلاثين كتاباً انزلت من الله بالوحي على انبيائه على التوالي وعلى تعاقب الايام والسنين بعد موسى الى ولادة المسيح مدة نحو ١٤٥١ سنة ثم اسفار الانجيل ورسله على مدة ٩٦ سنة

---

[1] انه كان من خرافات قدماء العرب الجهلاء ان الجن كانت مطيعة لسليمان وكان يستخدمها في مصالحه وعلى ذلك قول النابغة الذبياني :

الا سليمان ان قال الاله له　　قم في البرية واحددها عن الفند
وجيش الجن اني قد اذنت لهم　　يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وعليه الا ترى ان هذا القول عن الجن «انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى» هو غير طبيعي النظام والترتيب و بين موسى ومحمد واحد وستون كتاباً لانبياء ورسل عديدين ومحمد متأخر عن المسيح ما يزيد على ستمائة سنة فلست ارى هذا معقولاً ولا مقبولاً من الباء المسلمين واذكيائهم اذ لا محل له ولا داعي فلو قيل ذلك في سفر يشوع بن نون خليفة موسى على بني اسرائيل لكان القول معقولاً او زبور داود او كتاب امثال سليمان كان النسق طبيعياً نوعاً واما في القرآن فلا . وان قيل انما ذلك لان القرآن شرع محمد ولانه لا شرع لله بعد شرع موسى الا شرع القرآن كان القول «انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى» في محله قلنا فضلاً عن ان النص لا يلمع الى ذلك فالقول في القرآن انه انزل من عند الله مصدقاً لكتاب الله مع اليهود والنصارى.اي انه ما جاء الا مصداقاً للتوراة والانجيل الذين مع اهلهما اليهود والنصارى فهو بهذا الاعتبار ليس هو شرع مستقل عن كتاب الله ولا غريب عنه (مع انه كما قد رأيت غريب و بعيد جداً من كتاب الله) هذا وانك ترى ان المسيح كلمة الله اتى بناموس جديد وشرع اعظم مما اتى به موسى . فموسى اتى من الله بشرع الاعمال والطاعة العاجز عن القيام بها الانسان وشرع الله هذا كان يظهر عجز الانسان عن حق الطاعة وشرع المسيح شرع النعمة والرحمة. وعليه جاء في الانجيل «الناموس بموسى اعطي اما النعمة والحق بيسوع المسيح صارا» يو١: ١٧ الناموس الذي لم يؤت بمثله ولا يؤتى والحاصل ان مصدر النص في الجن لا يمكن ان يكون الله . ويرجح انه اما يهودي من سفلة اليهود او هو الشخص المدعو جبرئيل وهو اقرب الى الظن والله اعلم

(القضية الثانية) هي الامر في العدد الاول والثاني من سورة الجن «قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به...» خذ يا حبيبي منظاراً مكبراً ووجهه باستقامة الى هذا الامر «قل اوحي الي» فيبدو لناظرك من طيه ذلك الامر لان لا نص في القرآن من دون داع اليه فما ترى حفظك الله ذلك الداعي. تأمل تدبر ان المسألة تدعو الى دقة النظر واعمال الفكرة. الا ترى ان سببه هو لان هذا الجنس (الجن) لا ذكر له البتة في كتب انبياء الرحمن لا في التوراة ولا في الانجيل ولا في كتب ائمة اليهود والنصارى وفي بعد قاص عن العلم والخبرة وكأني بمحمد يقول في قلبه حين صار اليه النص «واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن» اني لم اسمع بالجن من ذي قبل ولعل الملا من قريش اذا اخبرتهم عن هذا الجن وان الله صرف الي نفراً منه يستمعون القرآن يهزأون بي ويقولون ما هذا من محمد الا فرية منه على الله اخلق من نفسه هذا الجنس الذي لا نبأ ولا اشارة اليه في صحف الاولين. فكان اليه النص الثاني في سورة مخصوصة في الجن «قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن...»

«انظر لا يلوح لك من خلال هذا الامر ان محمداً لم يتأكد انه نفر من الجن يستمعون قرآنه والا ما كان القول اليه بصيغة الامر «قل اوحي الي..» فمحمد ما رأى ذلك النفر من الجن ولا سمع لهم صوتاً ولا لغطاً فقط اوعز ما اوعز اليه بخصوصهم وقرأه وكتبه كما عن فم الله عز وجل فلدى هذه الملاحظة التي لا بد منها للبصير المتدبر ممن له شيء من الالماء بمصادر الاسلام وما قد داخل القرآن من الاغلاط والاوهام كما مر بك من امر السامري

وامرأة عمران ومريم وزكريا والمحراب ومسئلة القاء الشيطان يوماً على لسان محمد من كلام المديح العالي بالهة قومه قريش في اثناء قراءته سورة «والنجم اذا هوى» افلا يخامر ذهنه بان المدعو جبرئيل حكى له هذه الحكاية عن الجن كجنس بين الناس والشياطين وان الله سبحانه صرف اليه نفراً منهم يستمعون له القرآن . وقرر في ذهنه ان هذه القصة تكون له اكبر دعامة انه رسول الله الاعظم ونبيه الاكرم لانه ارسله الى الانس والجن من دون ما سواه من الانبياء والرسل ولعل محمداً قل له ولكني يا فلان ما نظرت الجن قط ولا سمعتهم ولا رأيت في المنام انه أتى الي بعضهم يستمعون القرآن فكيف اقول ذلك لقومي الا يسخرون بي ويحسبونني مجنوناً او مفترياً على الله ربي . قل له لا بأس من ذلك ياحبيبي انا اعرف طوية العرب فلا تخف « قل اوحي اليَّ انه استمع نفر من الجن القرآن» وهو وحي الله اليك . ومن الذي يكذبك يا رسول الله ويهزأ بكلامك الا الحمقى الاغبياء شركاء ابي جهل وابي لهب وابي سفيان بن حرب وسواهم نفر من قريش الذين لا يعتد بمعارضتهم وهذا يارسول الله يزيدك اعتباراً ورفعة في عيون اصحابك واتباعك حتى يتفانوا في سبيل نصرتك والقيام بدعوتك . وبعد فاقول اذا قرأت كل الكتاب التوراة والانجيل كلمة كلمة من اوله الى آخره لا تجد قط فيه كلمة من الله الى نبي من انبيائه «قل اوحي الي» فقط قل لشعبي بني اسرائيل او قل لعبدي فلان «هكذا يقول الرب او هذا ما امر به الرب والنبي كان يقول اسمعوا ما يقول الرب . والرب ارسلني اليكم بكذا وكذا» اما محمد بن عبد الله فلم ينهج نهج انبياء الله ورسله هذا في قرآنه فعوض ان يقول هكذا يقول الله

او هذا ما يريده الله منكم يقول كالذي نحن في صدده عن فم الله «واذ صرفنا اليك نفراً من الجن. قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن القرآن» اولئك الرسل كانوا اذا اتوا الناس بنبأ من الله مستغرب او غير مألوف عندهم برهنوا على صحته بآية وآيتين معجزتين كما في امر ارسال الله موسى الى شعبه بني اسرائيل وهم تحت نير عبودية فرعون القاسية فلكي يصدقوا ان الله اله ابائهم ارسله لتحريرهم واخراجهم من ارض مصر اعطاه آيتين عجيبتين يصنعهما امام عيونهم تحويل عصا موسى الى حية اذا ما طرحها على الارض وعودها الى عصا اذا امسكها بذنبها . وبرص يده اذا ما ادخلها اولاً الى عبه واخرجها ثم عودها الى ما كانت عليه من الصحة اذا ما ادخلها ثانية الى عبه واخرجها منه ومحمد جاء باغرب الدعاوي كرسول من الله ولا سيما دعوى الجن هذه ولم يؤيد واحدة بآية معجزة من نوع آيات موسى وآيات المسيح أفلا ترى حفظك الله ان هذه الدعوى ان الله صرف اليه نفراً من الجن يستمعون القرآن وان الله امره «قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى آخر القول» يستدعي لبيان كون ذلك من عند الله . آية بل آيات معجزات والا اي ملام على من لا يصدق ولا يعتبر كون ذلك من عند الله . والخلاصة انك ترى مسألة الجن هذه المنافية للنقل والعقل وغير المبرهنة بآية ما ليست اهلاً للاعتبار والقبول من الباء المسلمين واذكيائهم وما هي الا من جملة الدخائل على الاسلام والقوادح في نبوة محمد

المسألة الرابعة

رجوع الله تعالى (حسبما جاء في القرآن) عن بعض شرعه ومواعيده لبواعث بعثته الى ذلك

ذلك شيء كثير في القرآن لا يسعنا سرده تفصيلاً في هذا المؤلف وليس من ضرورة الى ذلك وهو كما تعلم يدعى في القرآن نسخاً وتبديلاً كما ترى، فيه «ما ننسخ من آية او ننسها نأتي بخير منها او مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير» سورة البقرة آية ١٠٣

«واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون» سورة النحل آية ٩٨ فنجتزئ من ذلك بذكر اربع قضايا

القضية الاولى

شرع السلم والرجوع عنه

انك لترى في القرآن آيات ونصوصاً سلمية عديدة ومتينة جداً محكمة اي غير قابلة النسخ وآيات كثيرة حربية قتالة مناقضة ومضادة لتلك حسبها محمد من الله ناسخة لتلك حتى امست النصوص السلمية بحكم العدم تتلى ولا يؤخذ بها. فمن النصوص السلمية «وما ارسلناك الا بشيراً ونذيراً» سورة الاسراء آية ١٠٤ ونعلم ان حرف الا في النص هو حرف حصر اي ما ارسلناك يا محمد

لغير التبشير والانذار والقول «فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب» سورة الرعد آية ٤٠ اسي ما عليك يا محمد ان تدين الناس اذا لم يقبلوا منك بلاغنا اذ المطلوب منك البلاغ فقط كمبشر ونذير ليس الا وايضاً «والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل» سورة الشورى آية ٦ اي ما انت عليهم بوكيل مسيطر حتى تجازيهم على اشراكهم بالله ذلك حق الله لا حقك ثم بين القرآن لمحمد حيف الاكراه الى الدين بالنص «لا اكراه في الدين[1]» سورة البقرة آية ٢٥٦ ولما كان محمد يميل الى اكراه الناس الى الايمان حسب الاسلام كان اليه النص «ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» سورة يونس آية ٩٨ اي اليك يا محمد عن هذا الفكر غير الموافق لمشيئتي الزم خطة التبشير والانذار وكفى فهذا الشرع الشريف لمبدأ شرع الحرية والاختيار لم يرض محمد بعد

---

[1] لا يخفى على القارئ العزيز ان السور التي فيها هذه النصوص السلمية جميعها مكية ما عدا سورة البقرة . قيلت في مكة اذ كان محمد ضعيفاً واصحابه نفراً قليلاً فما كان ثمت في وسعه ان يقول خلاف ذلك ويظهر لك ان محمداً كان وهو في مكة يود اكراه البعض على الايمان به كرسول الله لو ساعدته الاحوال فكان اليه النص في سورة يونس ولعلها آخر السور المكية «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين الخ» وبعد ان هاجر الى المدينة والتف حوله الانصار سكانها وهم ذوو بأس واقدام جاش في خاطره حب الاكراه الى دينه فكان اليه القول الرادع «لا اكراه في الدين» بقرة وهي مدنية آية ٢٥٦ فتوقف الى حين

هجرته الى المدينة واعتزازه بالانصار واتفاق القبائل عليه فاخذ يا للاسف ينقضه بآيات القتال والغارات زاعماً ان هذه من الله ناسخاً تلك مع انه كما ترى ويرى كل مسلم بصير ان تلك الآيات غير قابلة النسخ والالغاء بوجه من الوجوه بل لم تزل حية في ذاتها وان طعنت في صدرها بحراب تلك النصوص المدنية العدائية فعليه كان الاولى ان يقال في النصوص العدائية لآيات السلم المكية انها طردتها وحلت مكانها او قامت ضداً لها ونداً . ولحسن حظ المسلم البصير لم تزل من القرآن تلك الآيات السلمية الدستورية ليقرأها ويتلذذ بحلاوة مفادها ويرى رسوخها وشاهق علوها الذي لا يطال ولا يرام

وهاك بعض نصوص القتال

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » سورة البقرة آية ٢١٥ « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » سورة التوبة آية ٦١ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » التوبة آية ٢٨ « واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم ... وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » البقرة آية ١٩٠ وآية ١٩٢ « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » سورة الانفال آية ٣٨ « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا

الوثاق » سورة محمد آية ٤ « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » سورة النساء آية ٨٧ « يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » التوبة آية ٧٢ فيا صاحبي كيف ترى هذه النصوص بالنسبة الى تلك النصوص السلمية هل هما على شيء من الموافقة والملائمة ؟

مؤكد ان ادباء المسلمين وافاضلهم في عصر النور هـذا القاضي بالحرية والمساواة بين الافراد والجماعات واولي المذاهب والاديان قد سئموا النفرة والمباعدة بين عناصر الامة المجتمعة تحت راية الحكومة الاسلامية لما رأوا ما في ذلك من داعي التقهقر والخراب فلذا فهم يبذلون المجهود في سبيل الوئام والوفاق بين الجميع وتعميم الحرية المقدسة في كل اقطار المملكة افلح الله مسعاهم وجزاهم خيراً ولكي تتمكنوا من ذلك بحيث لا يبقى للمسلم سبب ديني ليبعثه على كره غير المسلم والاعمال على اذلاله ولا لغير المسلم سوء الظن بالمسلم وأئمة الدين الاسلامي ولكي لا يكون القرآن حاجزاً لتعميم الحرية الحقة والمساواة التامة بين عناصر الامة في الممالك والاقطار الاسلامية تراهم باذلون اقصى اهتمامهم بجعله نصير السلام والوئام والحرية والمساواة والولاء مع كل العناصر وذلك في احاديثهم وخطبهم في الاندية والمحافل والمساجد و بمقالاتهم الشائقة على صفحات المجلات والجرائد من ذلك قول بعض افاضلهم في خطـاب له القاه في نادي احدى الحفلات الادبية في احدى مدن سورية سـنة ١٩١٠ قال في خطابه بمعرض كلامه في الدين الاسلام « فليس من الانصاف بشيء ان تفتح القرآن فترى فيه آيات الحرب مثل « فضرب الرقاب » « فاضربوا

فوق الاعناق» «واضربوا منهم كل بنان» ان تقول ان الاسلام دين اغتيال وفتك وعدوان. اما آيات «وان تعفوا اقرب الى التقوى . وان اكرمكم عند الله اتقاكم. وتواصوا بالحق. فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر. لا اكراه في الدين . أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . لكم دينكم ولي ديني» هذه الآيات وامثالها تقرأها ايها المتشائم بالاسلام عرضاً من دون تعليق ولا ملاحظة . آيات الحماسة والشدة انزلت في حال خاصة » (اه)

فيا ايها الخطيب الفاضل انك تشكر لحسن نيتك ومقصدك في هذا الكلام لا لذات الكلام الذي اتأسف انكم سخرتموه الى غير وجهته واتيتم به الى غير موضعه فكن يا مولاي على ثقة ان كثيرين من المسيحيين يقرأون هذه الآيات ونظائرها ليس عرضاً بل بكل ترو وتدبر ويعلقون عليها حواشي وملاحظات دقيقة اما قولك هذا «من دون تعليق ولا ملاحظة» اقول بالاسف يصح على اكثر المسلمين الذين يقرأون ولا يتدبرون ويتلون ولا يلاحظون واخشى يا اخي ان تكون من هؤلاء لان كلامك المتقدم يدل على ذلك . اتأسف ان حضرة الخطيب اتى لكذا مغالطة لا تنطلي على العارفين بالاسلام فهلا افتكر وهو منبر الخطابة انها لا تنطلي على سامعيه آنئذ فما كان المأمول من نباهته ان يأتي بها تشويهاً لخطابه النفيس . من ينكر النصين اللذين اوردهما «لا اكراه في الدين . . . افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ويا ليته ما ضن على سامعيه ببيان الباعث لهما فهل حضرته يجهل ذلك الباعث لا اظنه يجهله وانما غطى عليه . الامر مؤكد ان نبي الاسلام مدة كونه في مكة فاه على مسامع قومه بنصوص السلم الراهنة كأقوال الله انه ما ارسل من الله

لالجاء الملا الى الاسلام والايمان بواسطة من الوسـائط ما ارسل الا مبشراً ونذيراً ومبلغاً ارادة الله ربه ما هو سوى رسول ابلاغ وانذار وما على الرسول الا البلاغ ليس هو على الناس بحفيظ او وكيل ونظائر ذلك من النصوص كثير . لم يورد الخطيب شيئاً منها في خطابه وانما بعد هجرته الى يثرب واستفحال امره بتكاثر انصاره واتباعه ورأى ما هم عليه من الحاجة والعازة الى غنم الغنائم مع ما هو عليه من شدة الميل الى اخضاع بلاد العرب الى امرته ودينه نسخت تلك النصوص السلمية الثمينة مستعيضاً عنها بآيات القتل والقتال والغزو والغارات واستباحة دماء واموال من لم يقبلوا دعوته او من لا يقبلونها قائلاً لاصحابه كما عن لسان الله « كتب عليكم القتال » «وقاتلوهم . . . واقتلوهم حيث وجدتموهم » الى غير ذلك كما مر بك تدبر يا صـاحبي فترى كأن فئتي نصوص السلم ونصوص القتل والقتال من روحين متغايرين ومصدرين متباينين أمسى القرآن فيهما قرآنين متنافرين متضادين مستحيل وفاقهما والتئامهما واذ شعر محمد و بعض بانشطار القرآن هكذا شطرين بينهما هوة لا قرار لها لجأ الى القول بالنسخ والتبديل بدعوى انها آيات انزلت من الله واني لا أرى مسلماً متدبراً حراً لا ينفر قلبه من هـذا الزعم واما قول الخطيب دفعاً للقول «ان الاسلام دين اغتيال وفتك وعدوان» مستشهداً بآيات وان تعفوا اقرب للتقوى وان اكرمكم عند الله اتقاكم الى غير ذلك كما تقدم

فاقول اني اتعجب كيف اعتبر هذه الاقوال القرآنية دفعاً اصولياً لذلك الطعن . قد نظرت في القرآن صفحة صفحة من اول سورة الى آخر سورة لاجد النص « وان تعفوا اقرب الى التقوى » لارى عن اي شيء هذا العفو

وما الباعث الى هذا النص فلم اجده في سوى سورة البقرة وهو كما ترى يتعلق بامر النساء من حيث الطلاق والفريضة وليس هو بشيء من حيث الكافر والعدو او المنتقد على الاسلام وهاك النص

« وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى » آية ٢٣٧ تأمل

فكيف ساغ لحضرة الخطيب ان يعزو هذ النص الى العفو عن المشرك والكافر والاسير في الحرب كما قد سنحوا ايضاً الى ذلك النص «ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ترى واي حق له يلوم القائل ان الاسلام دين اغتيال وفتك وعدوان . اولم يجر ذلك في الاسلام حق الملام على من عزى ذلك الى الاسلام قبل الهجرة ولا تثريب على من قال فيه ذلك بعد الهجرة . لم يكن الاسلام المكي الا اسلام دعة وتواضع وسلم بخلاف الاسلام اليثربي الذي قد نافى الاسلام المكي نصاً وسيرة ما لا يستطاع خفاؤه وانكاره أيجهل صديقنا الخطيب أو يتجاهل ان نبي الاسلام اتى برجاله الاغتيال المعيب ببعض اعيان اليهود الذين لم ير له قبل بمبارزتهم في ميدان القتال. الم يقتل برجاله ابا رافع احد اشراف خيبر الم يقتل كعب بن الاشرف الغني البطل اولم يقل لرجاله الذين بعثهم لاغتياله حين استأذنوه ان يطعنوا فيه لكعب لاتمام الحيلة والفوز بالغيلة انتم في حل مما تقولون في . اولم يقتل ابا عفك الشيخ المسن وهو راقد ليلاً بفناء منزله لانه طعن في دعواه بالنبوة والرسالة من دون بينة ولا برهان كبينات انبياء الله ورسله . اولم يفتك ذلك الفتك الذريع بيهود بني قريظة

بدعوى انهم مضمرون له السوء فغزاهم بالعدد العديد وضيق عليهم في الحصار حتى سلموا له عزلاً على حكم سعد بن معاذ املاً منهـم انه يرفق بالحكم عليهم لانه كان بينهـم و بين قبيلة الاوس حلف فحكم عليهـم باعدام الرجال وقسم العيال والمال بين اصحـاب اسي فخندق لهم خندقاً وذبح القوم كالغنم وطمرهم في الخندق ووزع نساءهم وذراريهـم على رجاله وكيف هكذا عادى قومه قريشاً وقطع الطريق على عيرهم القادم من الشام وفتك رجال سريته تحت أمرة عبدالله بن جحش الاسدي في مكان يدعى نخلة برجال عير قريش غيلة وغدراً تحت ثياب الدين ومظهر مسلم وقد رضي محمد عن ذلك واخذ لنفسه خمس الغنيمة اينكر ذلك حضرة خطيب وامثاله مما لم نذكره؟ ثم لا يخلق بنا الاغضاء عن كلمته الاخيرة بخصوص نصوص جهاد المشركين الذين لم يقبلوا دعوى محمد ولم يؤمنوا به كرسول لله وقتالهم وقتلهم «هـذه الآيات وامثالها. آيات الحماسة والشدة انزلت في حال خاصة» يعني ليس للعمل بها على الدوام كاني به اقتبس هذا الفكر عن بعض شرح القرآن الزاعمين ان هذه الآيات آيات الجهاد بالمشركين انزلت للعمل بها موقتاً لا للاخذ بها على الدوام فهل لهم ولحضرته مسند قرآني بسند زعمهم هذا لا ارى فيا حضرة الخطيب ومن يقول هـذا اليست آيات القتال حسب قول القرآن ومفهوم علماء الاسلام ناسخة لآيات السلم فيه بلى وقد مات محمد وختم القرآن وجمع ولم ير فيه نصاً ما ناسخ نصوص القتال اذاً آيات جهاد والقتال في القرآن لا تزال حية لا منسوخة ولا ملغاة ملتزم المسلم التقيد بها شرعاً اميراً كان ام سوقة و بناء عليه لا محل لكلمة «انزلت في حال خاصة» فغير خاف على المسلم النبيه ان نبي الاسلام

غب انتصاراته المتابعة على قبائل العرب وفتحه مكة عنوة ورهبة الامم مجاوري بلاد العرب منه خال له ان النصر سيكون ابداً ودائماً حليفه وحليف امراء المسلمين بعده حتى يطبق الاسلام الارض ويكون هو الدين العام الوحيد في الدنيا وبناء عليه قال في القرآن كما عن فم الله تعالى بصيغة الامر «قاتلوهم حتى يكون الدين كله لله» اي حتى يعم الاسلام العالم كله فهل عم الاسلام العالم كلا ولا سبع العالم وعلى ذلك فان المسلم لا يزال مجبراً على الجهاد قياماً بهذا الامر الذي يعتقده امر الله وعجز المسلمين عن القيام به ليس هو الغاء له ولا يحصره في حال خاصة لانه مطلق لا مقيد في زمان ولا مكان ناسخ غير منسوخ عازل لا معزول فلا يتبرأ المسلم من القيام به متى استطاع الى ذلك سبيلاً وهو يعتقده من عند الله . وبعد فاننا معاشر المسيحيين نشكر بكل قلوبنا حضرة الخطيب ومن على شاكلته من احبابنا مسلمي هذه الايام محبي الائتلاف والوئام والاتحاد بين المسلمين وبقية عناصر الاديان ونشكر لهم حسن غيرتهم وبذل مجهودهم في سبيل محاولتهم بيان الاسلام دين دستوري دين الحرية والاخاء لجميع الامم والعناصر من كل دين ومذهب وانما نتأسف ان ذلك خارج عن دائرة امكانهم ما دام القرآن على ما هو من مضادة هذا الامر كما تقدم بيانه وما دام كتاب سيرة محمد واعماله في الوجود افي مقدرتهم ابدال القرآن بقرآن يوافق روح العصر ؟ افي امكانهم ان يطمسوا تاريخ محمد واعماله ؟ لا لا ليس ذلك في امكانهم يعذر الجاهل حقيقة الاسلام اذا ذهب في كلامه ما ذهبه حضرة الخطيب ولكن قط لا يعذر عن ذلك من كان مثله في العلم والادب وكيف يعذر من قال خلاف ذلك ما يعلم وعكس ما يدري تمويهاً على السامعين

ولو ان ذلك منه عن اخلاص وحسن قصد لما كان الاجدر بحضرته عدم فتح هذا الباب في خطابه المتعذر عليه غلقه بشرف . و بعد فان المقال في هذه القضية ينحو بنا الى نقطة هي من اهم النقط في هذا الصدد وما ادراك ما هي . هي محمد والقرآن في مكة والمدينة تعلمون حضرتكم ان مدة حياة محمد حسب التاريخ كما هو معول عليه ٦٣ سنة تقسم طبعاً الى ثلاثة اقسام القسم الاول مدة اربعين سنة عاشها مع قومه القريشيين في حمأة الجاهلية (القسم الثاني) مدة ١٣ سنة اقامها في مكة بعد ان اعلن نفسه انه نبي الله ورسوله (القسم الثالث) مدة نحو عشر سنين عاشها في المدينة يثرب بعد هجرته اليها مع اصحابه قضاها في المغازي والحروب والفتك والاغتيال وغنم الغنائم وتعلم ان سور القرآن منها ٨٧ سورة قالها في مكة و٢٨ سورة قالها في المدينة وما يستدعي التفات المسلم النبيه وتدبره هو انه في كل هذه السور التي قالها محمد في مكة لا يوجد نص واحد امراً واجزة بمجاهدة المشركين الكفار وقتلهم وغنم اموالهم وذراريهم ليس في واحدة منها جاهد الكفار والمنافقين ولا «واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . او قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» الى غير ذلك من نصوص القتل والقتال ومجاهدة المشركين والكفار في الاثني والعشرين سورة التي قالها في المدينة مدة العشر السنين التي عاشها فيها تأمل لم ذلك ؟ وما الباعث الى هذا النقض المشين ؟ افلا ترى ياحبيبي من ذلك ان الاسلام امسى بذلك اسلامين متباينين متنافرين لا نسبة بينهما ولا قرابة . اسلام مكة واسلام المدينة كل منهما ابعد عن الآخر من المدينة عن مكة ومن لا يرى من عقلاء المسلمين واتقائهم ان اسلام مكة اثبت وافضل وانسب للمجتمع الانساني من اسلام

يثرب وامتن حجة وارسخ جدراً لما ان الحكم فيها جامع مانع «كالقول وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً . عليك البلاغ وعلينا الحساب. وما انت على الناس بحفيظ او وكيل . . افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» الى غير ذلك كثيراً مالا حاجة هنا الى اعادة ذكره النصوص غير قابلة النسخ ولكنها قابلة العزل والطرح الى الوراء مما لا يفسر بها من الناس ثم اسألك ياعزيزي ألا يخامر ذهنك ان محمداً وهو في مكة يتو على الناس تلك السور والآيات السلمية بمظهر الوضاعة والدعة ما خطر على باله المنصب السياسي الذي قد رقي منصته في يثرب ولا صعد على قلبه الفكر في انه سيكون يوماً قائد حرب وفاتحاً عظيماً والا ما كانت النصوص السلمية في مكة هكذا جامعة مانعة مسورة كذا باسوار شامخة متينة لا ترام والامر بين ان ما هجرته الى المدينة الا هرباً من قومه الذين كانوا عولوا على قتله ليلة هربه والقصة معلومة فلما بلغ ما بلغه في المدينة من المنعة والقوة ورأى انه يمكنه ثم ادانة العرب لامارته والتدين بدينه بالقتال والبطش . ولما انه عزم على ذلك ورأى ان اصحابه ولا سيما المهاجرين الذين لم ينسوا اقواله السلمية في مكة يفضون السير على الحرب والسكينة على القتال والغزو قال لهم «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» وكأنه قال لتلك النصوص السلمية السالفة ليس لك بعد محل تبدلت الاحوال فيلزم ان ابدلك بما هو انسب في الحال لي ولاتباعي وهكذا فعل وسمى فعله هذا نسخاً وبذلك كما قلنا امسى الاسلام اسلامين والقرآن قرآنين بينهما هوة لاقرار لها كأنه من الهين له السلام وله الحرب والعدوان ومن جبرئيلين ضدين ندين لا وحدة بينهم ولا نسبة

القضية الثانية

شرع الصوم

يعلم القاري ان الله سبحانه لم يفرض في التوراة على بني اسرائيل صوماً اياماً معدودة ولا في الانجيل صوماً مفروضاً على المسيحيين وانما كان الصوم عند اهل الكتاب اختيارياً يصومون ما شاؤا من الايام والاوقات ببواعث تبعثهم اليه وكان الصائم منهم كما اليوم يمتنع عن اللذات البدنية ايام الصوم وقد زعم أئمة المسلمين ان اتيان النساء كان محرماً ليلة الصيام على المسلمين بداعي الآية « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » اي اهل الكتاب وانه حدث ان جماعة من المسلمين منهم عمر بن الخطاب خانوا بذلك بان اتوا نسائهم بعد صلاة العشاء الاخير حتى قال الرسول لعمر لم تكن جديراً بذلك يا عمر فنزلت الآية « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن » سورة البقرة آية ١٨٧ « تختانون انفسكم اي ترتكبون الخيانة بالجماع ليلة الصيام » شرح الفخر الرازي وجه ١٩٧ — ٢٠١

ملاحظة

انظر يا صاحبي أيناسب جلال الله تعالى الذي ليس عنده تغيير ولا تبديل اي يغير في قوله وينقض شرعه وحكمه مجاراةً لاهواء العباد واميالهم قل « علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم » فنسأل اعلم الله ذلك ازلي او محدث ؟ فان

قالوا ازلي هو قلنا اذا كان الله منذ الازل علم ان القوم من المسلمين سيتعدون حدوده الذي رسمه لهم ويخونون الله في شرعه الذي شرع لهم فلا يلزم من ذلك اذا خانوا ان يحل لهم ما ابرمه وينقض ما اشترعه ذلك ضعف في المشترع والله القدير سبحانه وحاش له ان يشوبه ضعف واذا كان عز وجل علم منذ القدم ان العباد اضعف من ان يحتملوا هذا الشرع شهراً واراد التخفيف عنهم لخفف عنهم منذ الازل واعطاهم الشرع المحتمل ثم انك ترى في النص ملاحظة دقيقة من وجه احل لكم . وعلم الله انكم كنتم تختانون انفسكم . ان القول احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم يعلن ان هذا الحل محدث واذا كان هكذا هو محدث لزء عنه ان العلم بخيانة القوم محدث لا ان احل وعلم كلاهما مرتبطان بحادث الخيانة واذا كان الله منزه في ذاته عن المحدث فحاشا لجلاله وكماله ان يأتي كذا امراً لا يخلق بكماله لان ما رجوع المشترع عن شرعه بداعي ان المشروع لهم منه ذلك الشرع لم يستطيعوا القيام به الا نقصاً بيناً في المشترع وهو من شأن القاصر الضعيف لا من شأن العليم القدير اجل ان الله غفور رحيم تواب كريم يغفر ذنب من آب اليه تائباً ولكن رحمته وغفرانه لا يبعثانه تعالى الى تحليل ما قد حرمه ونقض ما ابرمه فالعفو والغفران شيء ونقض الشرع شيء آخر فهل شرع الله على ما يكون الانسان او الانسان على ما هو شرع الله وهل الله منقح في كتابه كما ينقح الانسان المؤلف تأليفه أيكتب الله ويمحو ... ويمحو ويكتب تباعاً لاهواء العباد واميالهم جل وعلا من ذلك علواً كبيراً اذاً من اين هذا النص المنافي لسجايا الرحمن وكماله أيقبل يا صديقي عقلك ويسلم ضميرك بكون هذا النص من عند الله

القضية الثالثة

الشرع بخصوص المترملة

زعموا ان الله تعالى امر المتوفي عنها زوجها بالاعتداد حولاً كاملاً ثم نسخ ذلك باربعة اشهر وعشراً كما جاء في سورة البقرة « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير » آية ٢٣٣ وفي شرح الرازي مجلد اول وجه ٦٥٧ — ٦٦٢

ملاحظة

لم ارَ في القرآن امراً باعتداد المتوفي عنها زوجها حولاً كاملاً انما العلماء والائمة زعموا هكذا فلعل ذلك كان في القرآن ولما نسخ باربعة اشهر وعشر ترك من القرآن بتة وكيف كان فالامر مثبت عند المسلمين ان الله نسخ حول عدة المترملة من حول كامل الى اربعة اشهر وعشرة ايام فنقول لماذا يا ترى كان ذلك لماذا يا مسلمين نسخ الشارع شرعه الاول بشرع اخف منه الجواب عندكم حفظكم الله على مثل هذا السؤال الذي لا اراه الا يخالج صدر كل مسلم نبيل حر هل الجواب عندكم هو ان الله سبحانه بعد ان شرع اعتداد الزوجة المتوفي عنها زوجها حولاً كاملاً رأى ذلك غير مناسب على الاطلاق للمسلمين لانه قد يكون طول المدة هكذا تجربة على بعض الارامل الشابات والله الرؤوف بالعباد لا يشاء ان يكون ذلك تجربة لهن وقد تكون المترملة فتاة

حسناء يرغب التزوج بها هذا وذاك ويعسر على طالبها الراغب بها انتظارها حولاً كاملاً وان احواله تحول دون هذا الانتظار الطويل فرأفة بالعباد ودفعاً للتجربة وترويجاً للمصلحة انقص الله العدة من حول كامل الى نحو الثلث منه. فاقول حسن جداً هذا التخفيف للاسباب التي ذكرتموها وغاية في المناسبة ومستحسن من الشارع لو كان انساناً لان قوى الانسان العقلية محدودة لا يعلم الاحوال المقبلة فقد يسن نظاماً وشرعاً لرعيته الذين تحت سلطانه من دون التروي الكافي فيراه بعد حين مقصراً عن مصلحة الرعية والبلاد او مجحفاً بحقوق العباد فيضطر الى تحويره وتنقيحه او ربما كان حين سنه موافقاً مناسباً ثم طرأت بعد ايام طوارىء على البلاد جعلت ما كان قبلاً من نظام وقانون الحكومة مناسباً موافقاً غير مناسب الآن فتدعو الضرورة الى تغييره وابداله ذلك حق واجب وامر جاري في العالم ولكن يا نبلاء المسلمين اخواننا واحبابنا أترون ذلك يجوز على الله ربكم المحيط علماً بكل شيء العارف بطباع العباد واهوائهم وحاجاتهم والذي الماضي والحاضر والمقبل لديه سواء لا تخفى عليه خافية ولا تفوته مسألة قولوا لانفسكم اذا عزونا الى الله مثل هذا التخفيف في شرع شرعه للدواعي المتقدم ذكرها ألا نكون بذلك نسبنا اليه الجهل باخلاق الناس واهوائهم ومصلحة كيانهم جل وعلا عن مثل ذلك. وعليه اقول لاخي المسلم قل لي يا اخي اكذلك الله كل عثرة لا يتوقع من كل ذي لب وفهم ان يكون شرع الله في هذا الشأن شرعاً كاملاً وافياً ثابتاً غير قابل التحوير والتغيير كشرائع اهل الدنيا فان قلت بلى يا صاحبي كما هو منتظر منك اعود فاسألك ما رأيك اذاً في هذه القضية . والقضية السالفة بخصوص الصيام

ما قولك في هذا النسخ والتخفيف الدال على ضعف فاعله وممن هذا الشرع والفعل في نسخه وتخفيفه اترك الحكم بذلك لحسن تعقلك وكرم وجدانك والله ولي الهداية

القضية الرابعة

الاخلاف بالوعد

• جاء في سورة الانفال «يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين. وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين» آية ٦٤و٦٥

ملخص شرح ذلك من البيضاوي والجلالين

«صابرون» شرط بمعنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده «بانهم قوم لا يفقهون» بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين. . . «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً الخ» لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين. وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف بمقاومة الواحد الاثنين بيضاوي جزء اول وجه ٢٨١ والجلالين على هذا النحو «في يقاتل العشرون منكم المائتين والمائة

الالف ويثبتوا لهم» ثم نسخ لما كثروا بقوله «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكمماية صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله» بارادته. على هامش الوجه

ملاحظة

ليس في شرح هؤلاء الشراح لهذين النصين ما يروي غليل المسلم الظامى الى معرفة سبب عدول منزل القرآن عن وعده المسلمين بغلبة الواحد منهم عشرة الى غلبة احدهم اثنين من المشركين والى سبب كون النصين في سورة واحدة يتلو احدهما لآخر لانهم كما ترى خبطوا في شرحهم هذا خبطاً لا يخلق بعلماء نظيرهم وذلك من ثلاثة وجوه

(لوجه الاول) ابدالهم كلمة الغلب بكلمة مقاومة وقتال وثبات يقول البيضاوي «لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم» والجلالين «اي يقاتل العشرون منكم المائتين والماية الالف ويثبتوا لهم» في النص كما يرى كل قارئ متدبر غني عن شرحهم هذا الساقط . ولست اعلم كيف تجاسروا ان يؤولوا الكلمة القرآنية البينة المعنى الى كلمة يقاومو ويقاتلوا ويثبتوا فما كان اغناهم عن هذا التأويل بل قل التحريف الذي لا يرضى به مسلم لبيب لماذا يا ترى اقدموا على هذا الامر المشين أيتسنى لهم تخليص النص من الانتقاد الجارح الذي يخرج به عن نقطة انزل الله ووحيه فمن كان هذا فكرهم فذلك لا يجديهم والنص موجود في القرآن

(الوجه الثاني) زعمهم ان الله اوجب على المسلمين بقول البيضاوي «لما

اوجب (الله) على الواحد مقاومة العشرة» مع ان النص كما ترى ليس فيه كلمة بصيغة الامر ككلمة قاوموا او قاتلوا او اثبتوا واغلبوا بل فقط خبراً و بشرى سارة وهي «وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفاً » فواجب عليكم او ينبغي لكم ليس له وجود في النص فكيف استجازوا هكذا تحريف الكلم عن مواضعه مبتدعين من عند انفسهم ما لا اصل له ولا رسم ولا اشارة في النص أيريدون ان ينشئوا قرآناً آخر والا فماذا

(الوجه الثالث) زعمهم ان النص الاول «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الخ» كان لانه كان فيهم قلة اي لان المسلمين كانوا قليلين ولما كثروا خفف عنهم فقال «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً الخ ...» اذاً على حسب تأويلهم هذا التثقيل كان للاقلية والتخفيف للاكثرية لماذا وما القاعدة لذلك وما الوجه الاصطلاحي فيه ألقوة للاقلية والضعف للاكثرية أذلك امر مطلق في الفئات والجماعات : اجل ان الله كثيراً ما ينصر الفئة الصغيرة الضعيفة على الفئة الكبيرة القوية لتظهر بذلك قوة الله وكيانه مع عبيده المعتصمين به ولكن قط ما جاء في الكتب ان الله سبحانه يثقل المطلوب على القليلين ويخففه عن الكثيرين كما يزعم هؤلاء الشراح في شرحهم هذا وليس في النصين شيء من الاشارة الى القلة والكثرة فقط في الاول وعد كبير وفي الثاني نزول عنه الى وعد اصغر بداعي ان الواعد علم ان في الموعودين ضعفاً يعجزهم عن غلب الواحد منهم عشرة . أفلا ترى انه كان الافضل لهؤلاء العلماء لو انهم ما تعرضوا الشرح للقرآن من ان يقدموا على شرحه هكذا شرحاً ملتوياً لا يرضي المسلم ولا يقنع غير المسلم

والآن ندع هؤلاء الشراح يشرحون ويمرحون كيف شاءوا ونوجه البصر والبصيرة الى ذات القضية انك لترى يا اخي مسلم في هذه القضية ثلاثة امور تستدعي اعمال الفكرة ودقة الملاحظة

(الامر الاول) وجود هذين النصين المتباينين في سورة واحدة وفي صفحة واحدة ومكان واحد يلي احدهما الآخر وهو كما لا يخفى عليك بعيد عن عادة الواعد الكريم وغير مألوف في تصانيف مصنفين وغريب عن اسلوب نبوات الكتاب وبالنتيجة هو غير طبيعي ولا عادي ولا هو مقبول من أولي الالباب والعقول

(الامر الثاني) سرعة الاخلاف بالوعد باعتبار الامر الاول

(الامر الثالث) الدلالة على ضعف الواعد كأنه ليس هو الله

فنقول في الامر الاول أترى يا اخا النبالة ان النصين انزلا على نبي الاسلام في آن واحد. او جاء بهما جبرئيل في وقت واحد؟ أيعقل ذلك اوليس ان الذي يقبله العقل ويرتاح اليه الذهن انهما كانا الى محمد في آنين وحالتين متباينتين اولا ترى ان الاقرب الى الحقيقة ان النص الاول فاه به محمد على اصحابه المهاجرين والانصار في حال اعتزازه وبين انتصاره على اعدائه الاوفر منه عدداً وعدداً ولعل كان ذلك منه غب انتصاره على قومه اهل قريش في واقعة بدر المشهورة[1]

---

[1] هذه اول واقعة حربية حضرها محمد وقد كان وعد اصحابه باغتنام عير قريش العائدة من الشام فلما وصل محمد ورجاله الى بدر رأوا ان العير فاتهم الى مكة فقالوا له وعدتنا بالعير لا بالنفير اي الحرب. فقال لهم ما مؤداه هذا مراد الله

وكأنه اذ اعجب واتباعه بهذا الانتصار غير المنتظر وفرحوا به جداً قرأ عليهم نص الوعد هذا كقول الله « يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا » ومؤكد ان مثل هذا الوعد الصالح نفخ فيهم روح الحماسة وزادهم جرأة واقداماً على الحرب والقتال . مؤكدين ان النصر لهم ثقة بوعد الله بفم النبي ان احدهم يغلب عشرة لانهم صابرون في موقف الحرب والنضال ثم بعد ذلك لما قصد القريشيون محمداً واصحابهم بجموعهم وابطالهم الى المدينة لمحاربتهم والاخذ بثأر قتلاهم يوم بدر وبلغوا جوار يثرب بجانب جبل أحد وطلبوا محمداً واصحابه الى الخروج اليهم للقتال بالصارم البتار ووقع من ذلك في نفس محمد واصحابه الرهبة حتى اشار بالبقاء داخل المدينة كمدافعين وان لا يبرروا اليهم خارجاً للحرب واجابه اتباعه ان ذلك منا يا رسول الله يعد لنا جبناً لا نرضى به اولم يعدنا ربنا بان يغلب الواحد منا عشرة والمائة الفاً من الكافرين اذا كنا لهم صابرين ونحن بالله صابرون على قتالهم فالنصر اذاً لنا يا رسول الله فدعنا نخرج اليهم فقرأ عليهم النص الآخر « الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين الخ[١] . . . » فانقص النسبة من واحد الى عشرة الى واحد لاثنين وهو نقص زائد لا يرى انه يخلق بذلك الواعد الوعد الاول فلك مما تقدم ان نبي الاسلام لم يقل

---

[١] ان قولي هذا انما هو كما المعت اعلاه من قبيل الحدس والتخمين وعندي انه الاقرب الى الحقيقة والله اعلم

القولين في آن واحد وحالة واحدة وهذا ينحو بالمسلم النبيه المدقق الى الاعتقاد ان آيات القرآن لم تكتب في المصحف الحاضر بحسب اوضاعها الاصلية وهذا يجر الى الظن بالتلاعب في القرآن والى الريب به كانزال الله ولا مناص من ذلك

واقول في الامر الثاني وهو سرعة الاخلاف بالوعد . ألا ترى انه ليس من شأن العلي القدوس الاخلاف في مواعيده المبنية على شرط كشرط الصبر في النص الاول فكم بالحري ليس من شأنه سرعة الاخلاف واذا كان ذلك ليس من شأن القدير العزيز ينتج من ذلك نتيجة لا بد منها وهي ان هذا الوعد ليس هو من عند الله فمن عند من اذاً هو ؟

واقول في الامر الثالث وهو «الدلالة على ضعف الواعد كأن هذا الواعد ليس هو الله» يا ترى ما علاقة ضعف الانسان بوعد الله مؤكد ان الانسان ضعيف بكل الوجوه كما هو خاطئ اثيم والله المحيط علماً بكل شيء عالم بما عليه الانسان من الضعف قبل ان اوجده في الدنيا ليس في الله شيء حديث فعلمه بضعف العباد قديم وقد استوفينا الكلام على ذلك في القضيتين السالفتين انما تردد النظر في امر تدني الواعد وعده هكذا الى هذا الحد المجحف باقتداره . انظر وتدبر القول فترى ان هذا التخفيف حسب منطوق النص «الآن خفف الله عنكم» ليس هو عن الموعودين بل هو بالواقع عن الواعد ألم يعدهم انه يغلب الواحد منهم العشرة من الكفار فاذا هو خفف وعده هذا الى غلبة الواحد اثنين انما يكون خففه عن نفسه لا عنهم كما لو وعد غني احد اصحابه المعوز بمئة ليرا لاصلاح حاله ثم بعد قليل انزل وعده هذا الى عشر ليرات فيكون بذلك قد خفف ولكن عن من أعن الموعود ام

عن نفسه بل عن نفسه ومن يسمع بذلك ولا يذم ذلك الغني العديم الشرف. اذاً ما معنى القول «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً» فهل وعد الله الضعيف بخير كبير ثقل عليه حتى تستدعي رأفة الله به تخفيفه عنه من يقول بذلك. اذاً ما انزل هذا الواعد وعده هكذا الا دليل عدم اقتداره على انجاز وعده او انحراف ارادته وعدوله عن انجاز ما وعد وكلاهما دليل الضعف. والله سبحانه جل وعلا عن الضعف والوهن اذاً من يكون هذا الواعد المخلف بوعده المعلق اخلافه هذا على ما علم من ضعف موعوديه ؟

و بعد فانك ترى انه لم يثبت الواحد من المسلمين لاثنين من المشركين في واقعة احد لا نعلم بالتمام ماذا كانت نسبة الجيشين لبعضهما في هذه الواقعة ولكن من قرائن التاريخ يظهر ان جيش الغزاة من قريش لم يكن حينئذ ازيد من رجال محمد الا قليلاً او ضعفهم وزد على ذلك ان القتال كان بجانب المدينة حيث كثرة النساء والاولاد الذين يمدون رجالهم واباءهم بالزاد والماء والتحميس والمقاتل بجانب عياله يكون اكثر استماتة واقداماً في القتال والجراءة ومع ذلك كسر جيش محمد في هذه الواقعة التي فيها فقد كثير من رجاله الاشداء منهم حمزة البطل عم محمد وجرح محمد فيها جروحاً بالغة وكسرت رباعيته وهرب باقي رجاله وتحصن في المدينة من وجه العدو ولم يجسر ان يخرج اليهم في الغد فانصرفوا عنه راجعين بحيلة ودهاء بعض اصحابه والقصة معلومة. فاين هذا الواعد المخلف وعده لعجز عنه . أهو الله العزيز القدير الذي لا اخلاف عنده ولا تبديل ؟ لله سبحانه مواعيد كثيرة ونصرات عجيبة لانبيائه وشعبه القديم فاذا قرأت في التوراة عن تاريخ بني اسرائيل وما فيها من مواعيد الله العظيمة

لبعض ملوكهم واصفيائه منهم لا تجد قط انه اخلف لهم وعداً او خففه وانزله من العظيم الكثير الى الحقير القليل بداعي ان فيهم ضعفاً كما في هذه المسألة الغريبة في بابها وقد خوّلهم النصر والفوز ليس فقط الواحد على عشرة والمائة على الف بل الواحد منهم على مئة ومئات انظر في تاريخ ابرهيم الخليل كيف اعطاه الله الغلبة بعبيده ولدان بيته الثلاثمائة وثمانية عشر على اربعة ملوك الشرق وجيوشهم الجرارة فكسرهم واي كسرة وغنم اموالهم وارجع منهم السبي والاموال الذين سبوه وغنموه من سدوم وعمورة (سفر التكوين اصحاح ١٤) لان وعد الله له كان «لا تخف يا ابرهيم انا ترس لك اصحاح ١٥:١» فكان له دائماً ترساً وحصناً حيثما توجه حتى هابه جميع سكان الارض وقالوا له انت سيد من الله بيننا اصحاح ٢٣:٦» وقد وعد الله عبده يشوع خليفة موسى على بني اسرائيل قائلاً له «لا يقف انسان في وجهك كل ايام حياتك» (سفر يشوع اصحاح ١:٥) وهكذا انجز الله وعده ليشوع فدوخ امم ارض كنعان العديدة القوية فخرقهم وهزمهم واخذ ارضهم ومدنهم وقسمها لبني اسرائيل ملكاً من الله فلم يقف انسان في وجه يشوع كل ايامه ولم يقل الله له مرة ما «علم الله ان فيكم ضعفاً فخفف عنكم» وقال الله مرة لموسى «انتقم نقمة من المديانيين (لاسباب مسطورة في التوراة) فانتخب موسى اثني عشر الف رجل من كل سبط من اسباط بني اسرائيل الفاً وارسلهم بقيادة يشوع فحاربوا المديانيين وقتلوا منهم كل ذكر وملوكهم الخمسة ولم يفقد من جيش اسرائيل واحد . انظر. ألم يكونوا ضعافاً وقليلين جداً بالنسبة الى العدد بلى ولكن الذي وعد بالغلبة هو قوي قدير فضعفهم وقلة عددهم لا يؤثر في وعد القدير. وقال

الله لعبده جدعون بن يواش «بالثلاثمائة رجل الذين ولغوا اخلصكم وادفع المديانيين ليدك» وهكذا انجز الله وعده لجدعون رجل الله فكسر بجيشه هذا الصغير جيوش المديانيين الغفيرة وقبض على اميرَيهم ثم ملكيهم وقتلهم وخلص الله اسرائيل خلاصاً عظيماً (سفر القضاة اصحاح ٧:٧ الى آخر الاصحاح واصحاح ٨:١—١٢) فما اضعف جيش جدعون بالنسبة الى قوة المديانيين والوف جيوشهم ومع ذلك لم يقل له الله «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً» الضعف يا اخي للانسان والقوة لله وهل ينكد ضعف الانسان على وعد الله القدير كلا وحاشا ونظير ما اوردناه كثير في كتاب الله نتركه للمطالع النبيه ان اراد . الخلاصة ان كلمة «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً» الى آخر المقل لا وجود لها في قاموس كتاب الله جل وعلا الله عن مثل ذلك فيا اخي افتح عينيك وانظر اذا كان الله هكذا عالماً بكل ما سيحدث وهو العزيز القدير يغلب بالضعيف القوي و بالقليل الكثير وليس لوعده من تبديل فمن اين ذلك الوعد والاخلاف

المسئلة السادسة

الامر بالفسق لتحق العقوبة على الفاسقين

ورد في القرآن عدة نصوص تعزي الامر بالفحشاء الى الشيطان دون الله. من ذلك «ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء» سورة البقرة آية ٦٥ «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء

ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي سورة النحل آية ٨٨ «واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها. قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون سورة الاعراف آية ٢٨

ما احسن هذه الاقوال وما احلاها لقلوب عباد الله الاتقياء ولكننا مع المسلمين لا نرى القرآن وقف على هذا الحد يا لحيرة المسلم الفطن وربكته بما ورد فيه بخلاف ذلك وهو نسبته الامر بالفسق الى الله عز وجل وهاك النص

«واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» سورة الانسراء آية ١٦

شرح هذه الآية في البيضاوي والجلالين

في البيضاوي ما خلاصته «امرنا مترفيها» متنعميها بالطاعة على لسان الرسول الذي بعثناه اليهم ففسقوا فيها اي عوض ان يطيعوا الله ورسوله ازدادوا ايغالاً بالمعاصي . . .

وفي الجلالين «امرنا مترفيها» متنعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ففسقوا فيها فخرجوا عن امرنا وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها (بيضاوي جزء اول وجه ٤٠٢)

ملاحظة

ترى ما هذا النص من تلك النصوص وما اعظم التنافر والمعاكسة بينهما وهل من مسلم فطن لا ينكر هذا النص المنسب الى الله القدوس الحيف والظلم اما العامة من المسلمين حين نظرهم فيه وحيرتهم منه يريحون نوعاً افكارهم

بالنص وهو «لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم» والنهاية ان في هذه المسألة ثلاثة امور تستدعي عظيم الالتفات

(الامر الاول) سخافة التأويل

(الامر الثاني) المنافاة الكلية لسجية الرحمن والنصوص المتقدمة

(الامر الثالث) ظلم المأمور بمعاقبته على اتيانه ما امر به

فاقول في الامر الاول ليس من مسلم لبيب منصف لا يرى سخافة هذا التأويل غير المنطبق على مفاد النص الصريح انظر ان هؤلاء المؤولين اولوا «امرنا مترفيها» امرناهم في الطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم «ففسقوا فيها» اي عوض ان يطيعوا الله ورسوله ازدادوا ايغالاً بالمعاصي «امرنا مترفيها» رؤساءها بالطاعة على لسان رسلنا . ففسقوا فيها» فخرجوا عن امرنا لا ارى هذا التأويل الساقط لا تحريف الكلم عن مواضعه ولا اراه يحل محل الاعتبار في اذهان الخاصة لاحرار من المسلمين ويصعب علي ان اصدق ان هذا التأويل منهم على وفق عقولهم وضمائرهم وكأني بهم وضعوا العقل جانباً وغطوا على الضمير محاولين جهدهم ولو على اسخف صورة الوفاق بين هذا النص والنصوص المتقدمة بغية ارضاء العامة واراحة فكرهم ومن له اقل المام باللغة ولا يرى ان «امرنا مترفيها ففسقوا فيها» اي امرناهم بالفسق فيها هو باعتبار النص اصح وامتن كثيراً من تأويل هؤلاء المؤولين وهنا اوجه الكلام الى هؤلاء المؤولين الافضل كما لو كانوا احياء حاضرين. يا ايها الائمة الكرام المعول عليهم في شرح قرآن الاسلام قفوا وتدبروا ان كنتم ممن يبصر ويتدبر وانصفوا الحق والضمير ان الله ولي المنصفين. هل ترون شيئاً من الملائمة بين

تأويلكم هذا وبين اسلوب النص وما به من العلاقة المتينة بين المقدمة منه والنتيجة . انظروا وتدبروا ان كنتم ممن يبصر ويتدبر ان الامر في النص ناشيء عن ارادة الاهلاك لا الاحياء قال «اذا اردنا اهلاك قرية امرنا مترفيها ففسقوا او ان نهلك قرية وباعتبار هذه المقدمة في النص لا يمكن ان يكون هذا الامر امر بالطاعة فلا ملاءمة قط بين تأويلكم هذا وبين تلك الارادة والامر الصادر عنها وكل ذي بصيرة مسلم وغير مسلم يرى انه لو كان مراد صاحب النص بقوله «امرنا مترفيها» امرناهم بالطاعة كما تتوهمون او توهمون لكانت المقدمة في النص على غير ما هي اي عوض اذا اردنا ان نهلك قرية اذا اردنا ان نحيي قرية او ننجي قرية . . . ولما لم يكن ذلك فما تأويكم هـذا الا تحريفاً والتواء منبوذاً من كل ذي لب وفهم. الامر يا كرام أبين من ان يبين ان صاحب النص امر مترفي القرية التي اراد اهلاكها بالفسق فيها لا بالتوبة والطاعة لان ارادة الامر يا اصحاب الاهلاك لا الاحياء فعجباً من فضلكم ونبالتكم كيف اقدمتم على مثل هذا التأويل المنكر أفعلتم ذلك لتنزهوا البارىء تعالى عن كذا حيف وظلم جل عنه وعلا فلو عدلتم وانصفتم لنزهتم الرحمن عن مثل هذا القول وبحثتم حق البحث عن مصدره أهل هو الله ام الانسان

واقول في الامر الثاني ان منافاة هذا النص لسجية القدوس الرحمن معقولة من كل ذي عقل لانه حاشا لله ان يأمر او يرضى في قداسته وهو الآمر الموصي بالعفاف والطهارة والناهي عن الدعارة والفحشاء اولم ترى في النصوص المتقدمة في صدر هذه المسئلة «ان الله ينهي عن الفحشاء والمنكر» وان الشيطان

الذي يأمر بالسوء والفحشاء . أفينهى الله عن الدعارة والفحشاء . ثم يأمر بذلك لارادته الاهلاك ايمكن لله القدوس ان يأتي بمثل ذلك كلا يا صاحبي ألا تجل الله ربك عن مثل هذا الالتواء الم يرسل الله رسله وينزل على انبيائه كتبه وعظاً وانذاراً ووعداً ووعيداً لرد العباد عن كفرهم وطغيانهم وفجورهم لحياة نفوسهم لطفاً منه ورحمة بلى فكيف يعود فيأمر بما هو ضد شرائعه وعكس مبداه الالهي حاشا لله من مثل هذا الامر

واقول في الامر الثالث الا ترى جوراً وظلماً معاقبة المأمور على اتيانه ما امر به اذا كان الانسان المتعقل الشريف المبدأ يترفع عن مثل هذا الحيف والظلم فكم بالحري العادل الرحمن يا هذا اتأمر خادمك بمنكر ثم تعاقبه على اتيانه امتثالاً لامرك لا بد ان تجيب كلا وما فعل ذلك الا ظلم وجنون . فيا صاحبي اذا كان ذلك منكراً من العبد الاثيم فكيف جاز ان يعزى مثل ذلك الى البارئ تعالى كما في النص الذي نحن في صدده وبعد فاني اتأسف كما يتأسف كل مسلم عاقل ان في الاسلام او عند اكثر المسلمين ان الشر مقدر من الله على العبد فاعله وعليه ففاعل الشر مسير لا مخير مدفوعاً اليه من عامل التقدير وهاك ما ورد بهذا الشأن في كتاب العقد الفريد قال ان رجلاً سأل محمداً قائلاً يا رسول الله أيقدر الله عليّ الشر ثم يعذبني عليه قال له نعم وانت اظلم جزء اول وجه ٢٥٢ . لا اثبت هذا الحديث ولا انفيه ولكن وجوده في هذا المؤلف المعتبر من المسلمين وذهابهم الى ان الشر والخير مقدران من الله على الانسان يرجح ثبوته . فان كان حقيقة ان نبي الاسلام اجاب سائله هذا الجواب فقد عزى الى القدوس العادل ما ليس من شأنه وان كان هذا الحديث ليس هو

عنه حقيقة بل هو اختلاق قدري نسبه اليه كما يقال ان كثيراً من الحديث
منسوب الى النبي وليس هو من النبي فذلك يقضي لا محالة الى ارتفاع الثقة
بالسنة. وانعد الى النظر في هـذا الحديث الغريب يلوح للقارئ الفطن من
سؤل ذلك الرجل نبي الاسلام انه كان سمع من فمه او من بعض صحابته
المقربين مرة اومراراً ان الشر كالقتل والزنا والسرقة مقدر من الله على العبد
وان الله يعذب في جهنم مرتكب تلك الذنوب فرأى بعين العقل ان ذلك
لا محالة ظلم بين يجل الله عنه فأتى النبي مستفتياً «يارسول الله أيقدر الله علي
الشر ثم يعذبني الله عليه فما كان الافتاء من محمد الا نعم وانت اظلم. فياخيبة
ذلك المستفتي المسكين الذي ما دفعه الى سؤل النبي الا حرج صدره من ذلك
الاشكال الهائل الذي لم ير له من نفسه حلاً وكأني به قال لنفسه الى رسول
الله يا نفس فان عنده الحل المحكم والجواب المريح فأتى اليه وسأله ما سأله فجابه
ذلك الجواب الذي لم يرو غلة بل زاد الطين بلة اذ لا يخفى ما في ذلك الجواب
من نسبة الظلم الى الله جل وعلا عن ذلك بقوله نعم وانت اظلم. كأنه بذلك
يقول للسائل. اذا كنت بهذا ترى من الظلم ان الله يعذب العبد على ارتكابه
ما قدره عليه من الشر نعم يا صاحبي ولكن انت اظلم. فنبي الاسلام بقوله هذا
نسب الظلم الى الله. واين هـذا من قوله في القرآن «وما الله بظلام العبيد»
ومعلوم ان القول ظالم واظلم كالقول عادل واعدل وكبير واكبر فاذا قال لمستفتيه
وانت اظلم تضمن القول لا محالة ان الله يظلم العبد على اتيانه ما قدر عليه من
الشر أما نرى ذلك اعظم فرية على الله ينبوع العدل والصلاح وما مراده يا ترى
بقوله «وانت اظلم» يعني بذلك اذا الله عذبك على فعلك شراً قدره عليك

فانت اظلم بارتكابك ذلك الشر بالتعدي على الآخرين بارادتك مجاراة لطمعك واتباعاً لشهوة نفسك تجيب وكل مسلم يجيب ان الفاعل وان يكن فعل ذلك لطمع منه او لقضاء شهوة وعن ارادة حرة فذلك لا يخرج ما اتاه من الشر عن دائرة التقدير الالهي عليه فتكون علة ذلك المقدر ولا مهرب من تقدير الله وعليه فاي حرج وملام على من اتى ما قدره الله عليه من الشر والخلاصة ان القول بتقدير الله الشرور على العبد كالقتل والزنا والسرقة يخطئ الله ويبرر الفاعل ونعوذ بالله من قول كهذا ينبذه كل ذي عقل وبصيرة

وما ظنك في ذلك السائل النبيه هل اقنعه وارضاه جواب محمد له لا أرى ولكنه سكت واحجم عن المحاجة والمعارضة خشية ورهبة وذهب في سبيله متحرقاً مغموماً ثم لنعد قليلاً الى النص من دون التفات الى تأويل المؤولين وشرح الشارحين لان في صراحته وبيانه غنى عن التأويل والتفسير قال «واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» تكلمنا قبلاً بالكفاية على الشطر الاول من هذا النص فلا حاجة بعد الى الاعادة فلنقصر الآن النظر في الشطر الآخر «وهو فحق عليها القول» ترون ان المؤولين اولوا ذلك «فحق عليها القول» يعني كلمة العذاب السابقة لحلوله» فاقول ربما كان المقصود بها هكذا لكن اتكون بذلك مبينة وابين من الكلام ما كان مفهوماً من الخاص والعام او ما كانت افصح وابين لو كانت «فحق عليها الحكم او فحق عليها القصاص العقاب . ومسكينة تلك القرية بأي شرع وعرف حق عليها الحكم بالتدمير والاهلاك وهي لم تفعل ما فعلت الا مأمورة مقسورة من ما لا مرد لامره ترى ما ذنب الجلاد بقطعه رأس زيد عملاً بامر السلطان

فيا اخي ياذا البصيرة النيرة ألا تجل الله ربك عن قول كهذا ينافي كماله الالهي وارادته الصالحة في خلقه وعباده لا اراك الا فاعلاً ذلك اذاً من هو قائله ومن عند من هو . تبصر

المسئلة السابعة

ما جرى لنبي الاسلام من الامور التي لم تمر على سواه من انبياء الله ورسله الكرام

نأتي منها بذكر ثلاثة امور

الامر الاول

سحر اليهودي له

ان اعتقاد الناس بالسحر وعظيم تأثيره في المسحورين عريق في القدم بين المتمدنين السالفين كالمصريين والاشوريين والبابليين واليونان والرومان وبين البرابرة والمتوحشين في الهند ومجاهل افريقيا والعرب وجزر البحار وعلى ذلك قصص وحكايات غريبة مدهشة يسخر منها صبيان الكاتب في ايامنا فكانوا ينسبون الى السحر من القوة والتأثير في العقول والابدان الى حد بعيد جداً حتى مسخ الانسان الى بهيمة ككلب او ثعلب او حمار فكان كلما طرأ اختلال على عقل انسان الا وعزوا ذلك الى سحر ساحر وقل من مات في سن الشباب شاباً كان او صبية او اميراً او بطلاً باسلاً الا نسبوا موته الى ساحراً او ساحرة ومن يتهمه الكهنة اماتوا ذلك المتهم المنكود الحظ اشنع ميتة . وبناء

على هذا الاعتقاد الراسخ في اذهان اولي العصور الخالية عزوا ما طرأ على محمد نبي الاسلام من تيهان الذهن الى سحر ساحر يهودي مدة طويلة قال بعضهم انها سنة وبعضهم انها ستة اشهر فكان في كل هذه المدة كفاقد الادراك والرشد لا يعي ما يقول ولا يدري ما يفعل. فقد ورد في كتاب السيرة النبوية المكية وجه ٢٠٠ «روى ان لبيداً بن الاعصم اليهودي سحر النبي فكان يخيل له انه يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالاكل والشرب واتيان النساء، ومكث في ذلك سنة او ستة اشهر على ما قيل حتى جاءه جبرئيل واخبره بذلك السحر ومكانه فارسل النبي واستحضره وحل عقده ففك عنه السحر ثم رقاه جبرئيل. وفي كتاب العقد الفريد وجه ٣٧٠ «في مسند ابن ابي شيبة ان رجلاً من اليهود سحر النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى لذلك اياماً فاتاه جبرئيل فقال له ان رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقداً وجعلها في مكان كذا وكذا فارسل علياً فاستخرجها وجاء بها فجعل يحلها فكلما حل عقدة وجد رسول الله خفة ثم قام رسول الله كأنما نشط من عقال. وجاء في حديث للبخاري وجه ١٧ و١٨ «روت عائشة (زوج محمد) قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه يأتي النساء وهو لا يأتيهن. (قال سفيان الثوري وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا... فقال محمد «يا عائشة اعلمت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه. اتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل قال مطبوب (مسحور) قال ومن طبه قال لبيد ابن الاعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً (يظهر الاسلام ويبطل الكفر) قال وفيم. قال في مشط

ومشاقة قل واين . قل في جف في بئر ذروان . قلت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه الخ . . . وفي السيرة ان لبيداً كان يهودياً من بني زريق ومع ان القرآن لا يشير الى هذا الحدث المؤكد وقوعه لنبي الاسلام ترى فيه ما يصح ان يؤخذ دليلاً على حدوثه كما انه يصدق حقيقة السحر . انظر سورة الفلق « قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد » وفي شرح هذه المعوذة في البيضاوي « ومن شر النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهودياً سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشر عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان » جزء ثاني وجه ٣٨٦ فالدليل ناصع ان محمداً قال المعوذتين هذه المذكورة والتي تليها التي اولها قل اعوذ برب الناس . » بعد ان فك عنه ذلك السحر المزعوم كأنه خاف ان يسحر مرة اخرى ولعل المعوذة الاولى هي الرقية المزعوم ان جبرئيل رقاه بعد ان شفي من مرض السحر كما رأيت في رواية السيرة المكية

ملاحظة

اليس من الغرابة بمكان ان عائشة زوج نبي الاسلام ابنه نسائه واصحابه النبلاء يذيعون عن من هو عندهم باعتباره نبي الله ورسوله الاعظم انه سحر هكذا من ساحر منافق وعدو حسد مدة طويلة الى كذا حد مشين لم يسبق الى مثله من رجل لله اصالحين وعجباً لهم كيف دونوا ذلك في تاريخ حياته النبوية هلاَّ فكروا ان ذلك من المكدرات على دعواه النبوة والرسالة من الله

بل من اعظم القوادح في نبوته . يلوح للقارئ النبيه من هذه القصة انه حين اعترى محمداً هذا المرض الدماغي الذي اضاع هكذا رشده وافقده الصواب حتى لم يعد يدري ما يفعل ويتوهم انه يفعل الفعل وهو لايفعله وضاعت الحيلة في امر شفائه وطال مطال ذلك عليه حتى تعذر على آله واصحابه كتمان امره هذا واخفاؤه عن انداده واعدائه ورأوا ان ذلك ثلمة لاترمم ولم يحدث لاحد لاحد من الانبياء شيء من مثل ذلك عزوا مرضه هذا الى السحر واذاعوا ان النبي مسحور ظناً منهم ان ذلك يزيل عن النبي وصمة تبهن عقله ولم يعلموا ان عزوهم ذلك الى سحر ساحر هو من اكبر القوادح في النبوة ومن اعظم المهدمات للرسالة من الله فمثلهم بذلك مثل من هرب من الدب فوقع في الجب اما كان الاحسن بهم والاقل تبيناً في النبي لو قالوا ان ما اعترى النبي من الهذيان انما هو من فعل حمى دماغية قد تصيب الصالحين كالطالحين والانبياء كغير الانبياء فيا حبيبي احكم يلام بعد ذلك الاسرائيلي والمسيحي او الجاهلي والمسلم اذا هو وضع هذه القضية موضع الانتقاد ألا ترى لو عزوا ضياع رشده الى مرض من الامراض كان ذلك انسب كثيراً من ان يعزوا ذلك الى سحر ساحر من عداته بلى ولكن ما كان كما لا يخفى عليك وهو قدح في النبوة والرسالة من ثلاثة اوجه

(الوجه الاول) سطوة الشيطان عليه مسلم عند عموم القائلين بالسحر ان السحر فعل شيطاني . فاذا كان قد سحر هكذا رجلاً والسحر من عمل الشيطان تخرج النتيجة ان للشيطان سطوة عليه لتعطيل ذهنه وافقاد ادراكه مثل سطوته الادبية عليه يوم القى على لسانه كما يزعمون في اثناء قرآءته سورة

والنجم اذا هوى ذلك المديح العالي في اللات والعزى ومناة آلهة قومه قريش والقصة مشهورة كما ترى في شرح الفخر الرازي للآية الخامسة من سورة الحج مجلد ٦ وجه ٢٤٤—٤٢٩ فهل يا صاحبي يسلم عاقل ان الله سبحانه يدفع نبياً من انبيائه الى يد الشيطان ليذهب بادراكه ورشده وليلقي ما شاء على لسانه من كلمات الضلال للاضلال لا اراك الا تقول كلا وحاشا لله من مثل ذلك فاعود واقول اذا كان محمد الهاشمي هو كما يزعم المسلمون نبي الله الاجل ورسوله الاعظم وحبيبه الاقرب اترى يدفعه الله كذا تحت سيطرة الشيطان ليفعل به هكذا حتى امسى مضغة في افواه المشركين واليهود الذين كأني اسمعهم لما اعلن لهم ذلك يقولون انظروا يا قوم الى نبي مكة هذا كيف جن في يده جنوناً افقده الصواب حتى امسى لا يعي ما يقول ولا يدري ما يفعل وقد غدا اصحابه بحيرة كلية من جرى ذلك

ان العرب المشركين او العرب واليهود كانوا يرمون محمداً بالجنون واليك الآيات العديدة دفعاً لهذه التهمة «فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن (اي ساحر) ولا مجنون سورة الطور آية ٢٨ وفي سورة القمر «كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر آية ٨ وفي سورة القلم «والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون . . . وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون آية ٢و٤٩ نعم قد يقول الناس على انسان انه لمجنون وهو ليس بمجنون ذلك اذا رأوه يأتي باعمال تعود عليه بالضر والخسران او هو يأتيهم باخبار غريبة وانباآت لا تنطبق على مدارك عقولهم ولم تألفها مسامعهم لما انه اتاهم بقصص وانباآت غاية في الغرابة ولا سيما نبأ

عروجه الى السبع السموات وما رآه فيها من البدائع والعجائب ... وكل ذلك في برهة صغيرة من الليل وعن الجنة وجهنم الامور التي خالوها اوهاماً وتخيلا باطلاً . ولما ان رأوه قد صار الى هذه الحالة المَرضية المنكرة التي عزاها اصحابه وآل بيته الى السحر تأكد لعقولهم انه لا محالة مجنون . وقد مضى عليه وهو في هذه الحالة اشهر عديدة

يا صاحبي أترى يلام امثال هؤلاء على ما اعتقدوا وقالوا في محمد وهم لم يقرأوا ولا سمعوا انه جرى شيء من مثل ذلك من نبي او لنبي من انبياء الله قبله ولا لولي من اوليائه الصالحين فقل كيف ترى

(الوجه الثاني) اختصاص محمد بذلك . لماذا يا ترى انفرد محمد عن انبياء الله كافة بهذا المصاب لماذا تميز من دونهم بامر سطوة الشيطان عليه في هذا الامر وامر الالقاء على لسانه انظر يا اخي المسلم وتدبر لنفسك ان محمداً كنبي ورسول من الله لم يقدم برهاناً بيناً اثباتاً لصحة دعواه بالنبوة والرسالة من الله الى الناس كبرهان موسى والمسيح اترى هذا برهان قل لي ألا يخطر لك هذا السؤال الذي لا اراه الا ويطرق ذهن كل مسلم نبيه متدبر انظر يا عزيزي ان موسى كليم الله ورسوله الى بني اسرائيل وفرعون كاد سحراء مصر معارضيه وابتلاهم بقوة الله ما ابتلى به فرعون والمصريين بضربة الدمامل حتى لم يستطيعوا الوقوف امام موسى من اجل الدمامل ولما ان اعجزهم عن ان يأتوا بسحرهم من مثل آياته قالوا لفرعون معتذرين وشاهدين لآيات الله بيد موسى «هذا اصبع الله» سفر الخروج اصحاح ٨:١٨و١٩ واصحاح ٩:١١ اي ان آيات موسى هي عمل الله لا عمل الانسان . كشعوذتنا السحرية . ويسوع

المسيح رب الآيات والمعجزت الباهرات كاد الشياطين واخرجهم عنوة من المجانين وكانوا يخرون له سجداً وجلين وشاهدين له هكذا «انت ابن الله الخ» انظر انجيل متى اصحاح ٨: ٢٩ ومرقس اصحاح ١: ٢٤ واصحاح ٥: ٦و٧ وترى يا حبيبي ان محمداً كيد هكذا من الشيطان كيداً بفعل السحر والالقاء على اسانه كما يزعمون وعليه أترى لدى ضميرك كما يزعمون بانه سيد الانبياء والمرسلين هل ترى من مقايسة بينه وبين موسى والمسيح او يشوع او ايليا؟

(الوجه الثالث) تركه من الله بحالة تعطيل ذهنه وفقدان ادراكه مدة ستة اشهر او سنة على قول البعض من اصحابه اترى يعقل ان يترك الله نبيه ورسوله على هذه الحالة مدة طويلة كهذه المدة ماذا تفتكر أيقبل ذلك من العقل؟ وان كان كما يزعمون انه جاءه جبرئيل في نهاية هذه المدة واعلمه انه مسحور من فلان الفلاني واعلمه بمادة سحره ومكانها حتى ارسل واتى بها وحل عقدها ففك عنه السحر وآب اليه رشده وعادت اليه صحته فاين كان صاحبه هذا المزعوم انه ملاك الله اليه وقد درسه القرآن واتاه بوحي الله اليه في كل هذه المدة اهكذا اغفله واهمله فان كان هو ملاك الله المرسل من لدن الله لشأن محمد لم نسيه هكذا طويلا يتقلب بعامل السحر الشيطاني لم لم يتدارك امره في بدئه قبل استفحاله ويأتيه بتلك المادة السحرية ويشفيه ولا من سمع ولا من رأى أفلا ترى ذلك باعثاً كبيراً للريب فيه كملاك الله ثم هل ترى يخلق بالعاقل الفطن التسليم بصحة هذه الحكاية من امر السحر والساحر واداة السحر ومكانها وجبرئيل واختلافات الروايات فيها ألا يرى غب النظر فيها من كل وجوهها وبعد انبياء الرحمن عن ان يصابوا بكذا مصاب ان القصة

مفتعلة وان ما حدث لمحمد هو حادث مرضي طبيعي قابل الشفاء قد يتأتى للانسان من اسباب وعلل سابقة وعلى كل حال سواء كان ذلك المرض الذي اصاب محمداً دماغي او كما زعموا هو فعل السحر كلاهما من اكبر القوادح بدعوى محمد بالنبوة والرسالة من الله . فتبصر

ثم لزعم انه وهو في الحالة من تيهان الذهن وفقدان الرشد كان يخيل له انه يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالاكل والشرب الخ. فما البرهان عندهم ان ذلك الشرود العقلي عن محجة الصواب لا تعلق له بالوحي وانت ترى في القرآن ما ترى من بالغ التناقض والاختلاف كما مر بك في تقدم من الكلام على المسئلة الرابعة والاغلاط النحوية والتركيبية كما يظهر للقارئ المتدبر وكما ترى بيان ذلك في كتاب الموقف وجه ٥٥٨ — ٥٦٣ أيمكن اقتياد العقل الى مزعوماتهم وادعاآتهم من دون البينة ويا ترى ما مرادهم بقولهم مما لا تعلق له بالوحي هل مرادهم بذلك انه لم يوح الى محمد في مدة سحره وشرود رشده او مرادهم ان الوحي لم ينقطع عن النبي في تلك المدة وانه حين يوحى اليه يؤوب اليه رشده بحيث لم يخطئ فيما يقول عن الله وفيما يلقي اليه جبرئيل فان كان مرادهم الاول فهو مقبول وان كان الثاني فهو منبوذ من اولي العقول من وجه اذا كان الله سبحانه يعيد اليه الصحو التام حين يوحي اليه ليعلم ما اوحي اليه وليتلوه على الناس كما هو من دون خطأ فلا يعقل ان الله غب ذلك يهمل نبيه ويتركه يتخبط بفعل السحر أترى هو شأن الله ان يترك كذا تحت سطوة الشيطان الرجيم زماناً طويلاً من هو كما يزعمون رسوله الاعظم وحبيبه الادنى الذي يصحي ذهنه بعض الدقائق وهو القدير العزيز أيعجز عن

دوام ابقائه في حلة الصحو والادراك ا كان الشيطان خزاه الله اقوى من الله عز وجل كلا (العفو يا الهي عن عبدك لكتابة هذه الجملة التي كتبها بحكم الضرورة) الخلاصة كيف قلبت المسئلة والى اي جهة ادرتها لا تراها الا وصمة كبرى لا سبيل الى ازالتها اعذرني يا اخي وصديقي على هذه الكلمات اذا استكبرتها ورأيتها جارحة ان الحق يا حبيبي غالباً جارح . وجرح الحق لافضل جداً من العافية في البطل ومن كان نظيرك في التعقل والذكاء فهو لائم في موضع اللوم وعاذر في موضع الاعذار فلا خوف منه ولا خجل في جانب الحق والحق اولى ان يقال ويتبع

الامر الثاني

ريب محمد بعض الاحايين فيما يلقى اليه كوحي الله

من ذلك ما جاء في القرآن «فان كنت في شك مما انزلنا عليك فاسال الذين يقرأون الكتاب من قبلك» سورة يونس آية ٩٢
وايضاً «كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين» سورة الاعراف آية ٢

التفسير

جاء في شرح القرآن للفخر الرازي ما خلاصته قال «ومن الوجوه في تفسير النص فان كنت في شك مما انزلنا اليك الخ هو ان الخطاب لمحمد وان محمداً من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة في قلبه

من الجائزات وتلك الخواطر لا تندفع الا بذير د الدلائل وتقرير البينات حتى ان بسببها تزول عن خاطره تلك الوساوس مجلد ٥ وجه ٢٨ و٢٩

وفي البيضاوي «فان كنت في شك مما انزلنا اليك» من القصص على سبيل الفرض والتقدير «فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القيت اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها الى آخر القول جزء اول وجه ٣٢٠

وفي الجلالين «فان كنت في شك مما انزلنا اليك» من القصص فرضاً فاسال الذين يقرأون الكتاب (التوراة) من قبلك» فانه ثابت عندهم يخبروك بصدقه» هامش وجه ٣٢٠ وشرح النص الآخر من سورة الاعراف لكلا البيضاوي والجلالين . البيضاوي «حرج منه» اي شك فيه فان الشاك حرج الصدر او ضيق القلب مخافة ان يكذب فيه. والجلالين «كتاب نزل اليك» خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم «فلا يكون في صدرك حرج منه» ضيق منه مخافة ان تكذب. بيضاوي جزء اول وجه ٢٤٠

ملاحظة

للقارئ العزيز فيما تقدم في هذه المسألة امران

(الامر الاول) تصديق القرآن كل التصديق صحة وسلامة كتاب الله التوراة والانجيل الذي بايدي اهل اليهود والنصارى معاصري محمد من كل تحريف وتصحيف وامانة هله عليه الامر الذي لم يبق للمسلم سبيلاً لرمي اهل

الكتاب بتحريف كتاب الله الذي اورثهم وأتمنهم عليه

(الامر الثاني) التزام المسلمين بحكم كتاب الله الذي بايدي اهله اليهود والنصارى اذا كان هكذا ترتب على محمد نبي الاسلام ان يسأل الذين يقرأون كتاب الله قبله اي اليهود والنصارى لازالة ما خامره من الشك فيما انزل اليه ودفع تلك الوساوس من قلبه فبالاولى يترتب على كل مسلم ان يقيم كتاب الله التوراة والانجيل الذي بايدي اهله حكماً له في المسائل الدينية واذا كان محمد كنبي عراه مثل هذا الشك فيما انزل اليه والقي عليه من المدعو جبرئيل انه انزال الله فكم بالحري يعرو مثل ذلك كثيراً نبهاء المسلمين وعقلاءهم حين يتلون القرآن بترو وتدبر ويرون فيه تلك الاختلافات والمناقضات الجوهرية المتقدم ذكرها فهم لذلك باوفر حاجة لاستفتاء اهل الكتاب وكتاب الله بايديهم من جهة هذه الامور وماذا يا ترى يكون من يسأل اهل الكتاب ومن يقيم الكتاب الذي بيدهم الحكم الفصل له في المسائل الدينية من جهة الدين والمذهب الا يكون منهم دينهم دينه ومذهبهم مذهبه بلى ولا بد . تأمل

وان للمسلم الفطن من هذين النصين وشرحهما ان محمداً كثيراً ما لم يكن على ثقة مما يلقى اليه من ذلك الشخص المدعو جبرئيل كحق منزل اليه من الله ولا لما وجد في كثير منه سواء كان قصصاً او شرعاً او نبأ من الاختلاف والتناقض والمنافاة للمعقول والمنقول ولعله ارتاب لهذا السبب بملكية جبرئيل هذا الذي كان يلقي عليه القرآن بالتتابع اشكالاً والواناً ويدرسه اياه كما من استاذ لتلميذ وان محمداً كان كثيراً ما يشعر بضيق في صدره حين يؤمر

بتبليغه الناس مخافة ان يكون كاذباً به اي بقوله ذلك عن لسان الله وليس هو من عند الله وان جبرئيل هذا حين آنس من تلميذه محمد الريب والشك في كثير مما يلقيه عليه كانزال الله وتردده بتعب قلب عن ابلاغه الناس مخافة ان يكون كاذباً فيه تلافى الامر بقوله له عن الله تعالى «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» كتاب انزلناه اليك فلا يكن في صدرك حرج منه» لا يتعب قلبك. يا رسولنا المحبوب فان كنت مرتاباً في صحة ما انزلنا اليك كانه ليس من عندنا فاذهب واسأل اهل الكتاب جيرانك ينبئوك بصحة ما انزلنا اليك بلسان ملاكنا جبرئيل ومؤكد انه لم يرسله الى اساطين علماء اليهود والنصارى في اورشليم ودمشق بل الى مجاوريه منهم الجاهلين كثيراً من حقائق الكتاب ولعله ارسله الى اناس مخصوصين منهم بينه وبينهم مواطأة على هذا الامر ويرجح ان جبرئيل ارسله اليهم باسئلة خاصة من حيث النصوص او القضايا الشاك محمد في كونها من عند الله وربما عن القصص المسطرة في سورة يونس والله اعلم ولا خبر لنا في القرآن والحديث ان محمداً ذهب وسأل اهل الكتاب او لم يسألهم

ثم ليس يخاف على القارئ العزيز انه ليس من شأن انبياء الله الشك فيما يوحى اليهم من الله فاذا وقفتم على سير انبياء الله من كبيرهم الى صغيرهم وعلى اسفار نبواتهم كسفر اشعياء وارميا وحزقيال ودانيال لا تجد لاحدهم شكاً او ريباً ما فيما اوحي اليه من الله او ان الله سبحانه قال لاحد منهم مثل ما قيل لمحمد «فان كنت في شك مما انزلنا اليك» او هذا كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه هذه كلمات لم تجئ قط في كتاب الله بخصوص نبي او

رسول من رسل الله ولم يكن الله جل شأنه ينزل كلامه على انبيائه بلسان احد ملائكته بل كان روح الله يحل عليهم وينطقهم بما شاء الله (انظر سفر اخبار الايام الثاني اصحاح ١٥ عد ١ وسفر العدد اصحاح ٢٤ عد ٢ وسفر القضاة اصحاح ٣ عد ١٠ واصحاح ٢٠ عد ١٤ واصحاح ٢٤ عد ٢٠) وكانوا يعلمون ان الله الهم يلقي اليهم كلامه ليبلغوه لشعبه ونبواته عن امم وملوك و بلدان ومدن وقط لم يكونوا يرتابون في شيء من ذلك كما ان الولد الصغير اذا كلمه ابوه في شيء لا يشك ولا يرتاب في ان الذي يكلمه هو ابوه ولان محمداً لم يكن من نوع انبياء بني اسرائيل بل كان يلقى اليه القرآن بفم شخص يدعى جبرئيل (كما سترى فيما يأتي من الكلام فلا غرابة ان خمره الشك فيما يلقى اليه انه من عند الله . وقصة محمد قبل اعلانه نفسه كنبي الله ورسوله ومؤالفته ومصاحبته ذلك المدعو جبرئيل المزعوم انه ملاك الله او روح الله مرسلاً من الله الى محمد حاملاً اليه كلامه المدعو قرآناً مدعاة الى الريب بكونه ملاك الله الم يكن يخلو بمحمد في غار جبل حرا الاسبوع والاسبوعين فما الغاية من ذلك تدبر اليس هي التعليم والتدريس كترشيح لمقام النبوة ؟ وهاك الروايات بهذا الشأن . جاء في صحيح للبخاري قال «سأل الحرث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال احياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . واحياناً يتمثل لي الملاك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول[١] «ثم حبب اليه الخلاء وكان

---

(١) ترى من هذا الحديث ان محمداً اعلن انه يأتيه الوحي على طريقتين الطريقة الاولى انه يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه ثم يفصم عنه وقد

يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله و يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حرآء وروي عن ابن عباس «ان جبرئيل كان يلقى محمداً في كل ليلة من رمضان فيدرسه القرآن «روي عن عائشة (زوج محمد) انها قالت . . . فكان يأتي حرآء فيتعبد الليالي ذوات العدد فيتزود لمثلها ثم جاءه الحق وهو في غار حرآء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت له ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم، فرجع بها يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع. وجاء في تاريخ ابن الوردي قل «ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اربعين سنة بعثه الله الى الاسود والاحمر رسولاً ناسخاً بشريعته الشرائع الماضية فاول ما ابتدئ به بالنبوة الرؤيا الصادقة وحبب الله اليه الخلوة وكان يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً قل وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم سراً ثلاث سنين ثم امر باظهار الدعوة وجه ١٠١و١٠٣

وعى عنه ما قال والطريقة الثانية انه يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ويعلم من سيرة محمد انه كان يعتريه احياناً حالة مكربة فيصفر لونه ويتصبب العرق من جبينه فيغطوه وبعد برهة يفصم عنه هذا الحال ويكلم اصحابه بشيء عن الله وهذا النوع من الوحي لم يكن لنبي من انبياء الله قبله بل كان روح الله ينطقهم بانباء الله من دون ادنى تغيير في هيئتهم واذا كان الملك يكلمه فلماذا هذا

هنا يا صديقي الكريم ملاحظة مهمة لا يخلق بمثلكم فوتها اني اتحاشى ابداء حكمي بشأن هذه الامور بيد اني اسألك كمستفيد ما معنى ان محمداً قبل اعلانه نفسه كنبي الله كان يختلي الايام والليالي في غار جبل حراء حتى اذ انفذ زاده عاد الى امرأته خديجة فتزود ايضاً وعاد الى خلوته في ذلك الغار وما معنى ان جبرئيل (حسب رواية ابن عباس) كان يلقى محمداً في كل ليلة من رمضان فيدرسه القرآن . وما معنى ان جبرئيل كان يقول له اقرأ واذا امتنع من ذلك غطه اولاً وثانياً وثالثاً حتى بلغ منه الجهد وبما غطه تلك الغطات المكربة التي القته بعظيم الروع حتى اذعن للامر فاقرأه «اقرأ بسم ربك لذي خلق الخ . . . وما معنى ان دعوة محمد كانت سراً ثلاث سنين ثم امر باظهارها

على م يا عزيز يدلك كل ذلك الا يدلك على ان محمداً كان يأخذ عن هذا الاستاذ جبرئيل سراً في ذلك الغار مدة هذه الثلاث سنين بعض القرآن المحتاج اليه في مكة وهو يدرسه ذلك حتى رسخت تلك الدروس في ذهنه وتمكنت من قلبه ومن ثم ارسله وقال له الآن قد حان الوقت وناسب الحال لتعلن نفسك لقومك انك نبي الله ورسوله اليهم وتتلو عليهم ما القيته عليك من الاقوال والقصص والحكم التي جئتك بها من الله وسازيدك من ذلك من حين الى آخر حسب الاقتضاء سر على بركات الله. ثم قول اذا طالعت التوراة والانجيل حق المطالعة لم تر عن احد من انبياء الله ورسله كما رايت ما روي عن محمد في هذه الروايات الا يخامر ذهنك ان ذلك الشخص ملقن ومدرس لمحمد في ذلك الغار وسواه من الاماكن ولم يكن اكثر من انسان من كبار الدهاة صابئياً او نسطورياً اتى ذلك لغاية منه في النفس

اولاً ترى ان تلك الروايات عن محمد وغار حراء وجبرئيل باعتبار اختلافها في الاسلوب والنص مع وحدة الغاية دليل على بشرية ذلك الاستاذ مدرس محمد اتخذ الاستتار عن الناس من دون تلميذه محمد كشعار له انه ملك متمثل بالانسان وانه هو ذات جبرئيل المتمثل لزكريا ومريم ومبشرهما بيوحنا والمسيح وليس بالعسير على من له المام بعادات وشرائع واخبار العرب والصابئة واليهود والنصارى ومتضلع في اللغة العربية ان يؤلف من هذه المواد كتاباً دينياً سابكاً اياها في قلب الفصاحة وعلى طريقة السجع الرائجة عند العرب في تلك الايام على انه كما رأيت فيما مر بك وكما ترى لدى مطالعتك الكتاب المقدس ان هذا الجبرئيل لم يكن عارفاً بالتوراة والانجيل على ما ينبغي وانه كان يستمين على ذلك من آخرين ولذلك جاءت القصص في القرآن عن يوسف وعن موسى و بني اسرئيل وفرعون ومريم وامها وزكريا على خلاف ما في الكتاب كما ذكرنا ذلك بالكفاية في محلاته من هذا المؤلف والخلاصة ان كل هذه الامور تبعث بالمسلم ذي الروية والتدبر الى الشك بملاكية جبرئيل هذا والى الريب في القرآن كانزال من الله هي خواطر تطرق باب ذهن كل لبيب من المسلمين المحب الى الاطلاع وحرية الافكار ولا مناص منها

الامر الثالث

ميل محمد في بعض الاحايين الى اجابة قومه المشركين وهو ان يحيد بعض الحيادة عن خطته الدينية ويجاريهم نوعاً بتعظيم الهتهم والاخذ ببعض عوائدهم الدينية

ان النصوص الواردة في القرآن بهذا الشأن تبين ان محمداً كاد يفتتن منهم لاجابة مطلوبهم ويفتري على الله غير ما اوحي اليه ابتغاء ارضاء قومه من ذلك ما جاء في سورة الاسرآء خطاباً له «لا تجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً . . . ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً آية ٢١:و٣٨» وفي سورة الاحزاب «يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً آية ١و٢ وفي سورة الزمر «قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون . ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين آية ٦٢و٦٣و٦٤

وايضاً في سورة الاسراء «وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً . اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً آية ٧٢و٧٣و٧٤

انك ترى هـذه النصوص البينة غنية عن تأويل المؤولين وشرح الشارحين ولكن شراح القرآن ابوا الا شرحها ليصيغوا لها ما هو خلاف مفادها البين وهاك قول البيضاوي والجلالين بشأنها

البيضاوي . قال في النص الاول «ولا تجعل مع الله الهاً آخر» الخطاب للرسول والمراد به امته ولكل احد «مذموماً» من الملائكة والمؤمنين «مخذولاً» من الله تعالى وقال في النص الآخر «ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً الى آخر النص» كرره للتنبيه ويريد بذلك انه كالنص الاول الخطاب للرسول والمراد به كل احد من امته جزء اول ٤٠٣و٤٠٦ وقال في النص الثالث من سورة الاحزاب «يا ايها النبي اتق الله» ناداه بالنبي وامره بالتقوى» تعظيماً وتفخيماً لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه (يعني الثبات على التقوى) ليكون مانعاً له عما نهي عنه بقوله «ولا تطع الكافرين والمنافقين» فيما يعود بوهن الدين روي ان سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينهم وبينه وقام معهم ابن ابيّ ومعتب ابن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك . فنزلت «ان الله كان عليماً حكيماً» بالمصالح والمفاسد لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة «واتبع ما يوحى اليك من ربك» كالنهي عن طاعتهم جزء ٢ وجه ١٥٩

وقال في النص الرابع من سورة الاسراء «وان كادوا ليفتنونك الى آخره» قال نزلت هذه الآية في ثقيف قالوا له لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو

لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لما فعلت ذلك فقل ان الله امرني . وقيل في قريش «قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلمّ بالهتنا وتمسها بيدك والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيرهُ اي غير الذي اوحينا اليك «واذاً لاتخذوك خليلاً» ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك ولياً لهم بريئاً من ولايتي «ولولا ان ثبتناك» ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قيلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم جزء ١ وجه ٤١٠ و٤١١

وقال في النص الخامس من سورة الزمر «قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون» اعتراض للدلالة على انهم امروه به . وقالوا استلم بعض الهتنا (الاستلام هنا بمعنى التقبيل) نؤمن بالهك «ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك» اي من الرسل «لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسول واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد «بل الله فاعبد وكن من الشاكرين» رد لما امروه به. واشكر الله على انعامه عليك .. جزء ٢ وجه ٢٢٠

الجلالين — تفسيرهما لهاته النصوص على هامش اوراق كتاب شرح البيضاوي . قال في النص الثاني «ذلك ما اوحى اليك ربك من الحكمة» يا محمد من الموعظة «ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً» مطروداً من رحمة الله

وقال في النص الثالث «اتق الله» أدم على تقواه «ولا تطع الكافرين

والمنافقين» فيما يخالف شريعتك «واتبع ما يوحى اليك من ربك» القرآن

وقال في النص الرابع «لئن اشركت» يا محمد فرضاً «ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله وحده فاعبد وكن من الشاكرين» انعامه عليك

وقال في النص الخامس «وان كادوا ليفتنونك» ليستنزلونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره ولولا ان ثبتناك على الحق بالعصمة «لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً» قربت ان تميل لشدة احتيالهم والحاحهم «اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات عذاب الدنيا والآخرة «ثم لا تجد لك علينا نصيراً» مانعاً منه

ملاحظة

يا ترى هل من مسلم لبيب لا يرى ان الامام البيضاوي في شرحه هذه النصوص قد حاد عن الخطة المثلى وخبط خبطاً لا يخلق بفاضل نظيره. من اين حضرته عرف ان القول في النص الاول «ولا تجعل مع الله الهاً آخر» ان الخطاب فيه للرسول والمراد به امته. وكذا في النص الآخر «ولئن اشركت الى آخره» ان الاشعار به على حكم الامة باعتبار كل واحد منها اي سند لمزعومه هذ في القرآن اعرف ذلك على سبيل النبوة واي ملاك تاه به الا ان صراحة النص في هذه السور مع الروايات التي حضرته اوردها تعلن جلياً ان الخطاب في هذه النصوص هو الى محمد حرفاً ومعنى لا تعلق له بالامة بطرف من الاطراف. ثم يبين ان المشركين امروا محمداً ان يستلم بعض الهتهم (يقبلها) وان ذلك كان الباعث لانزال الآية « فغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون»

فهل في عرفه ان امر المشركين هذا كان للامة ولكل فرد منها . كلا اذاً
الخطاب خاص بمحمد دون سواه وابن يذهب حضرته بالنص « يا ايها النبي
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين هل يرى فيه ان المراد بالنبي كل واحد
من المسلمين . وايضاً اين يذهب بشرحه للنص «وان كادوا ليفتنونك الى
آخره اذ اورد فيه ان اهل ثقيف راودوا النبي ان يمنحهم خصالاً يفتخرون بها
على العرب فيدخلون في امره وقيل نزل ذلك في قريش اذ قالوا له لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وانهم بالحاحهم ودهائهم كادوا يوقعونه في
الفتنة حتى يفتري على الله غير ما انزل عليه فمن يستطيع نكار ذلك وتحويله
عن صريح مفاده الا المكابر العنيد فآهاً للغرض ما ظلمه وللهوى ما احمقه كيف
هو هكذا يظلم الكلام والقلب ويلوي الاقوال الى غير وجوهها ويسخرها لغير
المراد فيها . ترى ما الذي الجأ البيضاوي الى هذا الشرح الساقط ليبرره من
ميله لاجابة طلب قومه المشركين وافتتانه عن الله حتى يفتري عليه غير ما
انزل عليه هيهات لا يمكنه ذلك ولا سواه من جهابذة علماء المسلمين لان
ما كتب وما كان كان وكل مطالع القرآن وسيرة محمد بروية وتدبر
يرى ان نبي الاسلام جارى قومه قريشاً على كثير من شعائرهم وعوائدهم حتى
قاده ذلك مرة الى مديح آلهتهم ذلك لامراء فيه لغاية تقربهم منه وقبول دعوته
ومن ذلك تحويل قبلة الصلاة عن بيت المقدس الى حرم مكة بعد ان كان
واصحابه يستقبلون في صلاتهم مقدس الله في اورشليم سنين عديدة فكأني
به اذ رأى تحويل قبلته الى الكعبة هي خطوة كبرى لاقتراب المشركين من
الاسلام تمنى ذلك فكان اليه النص «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك

قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره سورة البقرة آية ١٤٤

وايضاً من ذلك ادخاله حج المشركين في دينه بكل رسومه ومناسكه وشعائره وتكليفه بنص خصوصي في القرآن كل مسلم بالحج الى حرم مكة ان وجد الى ذلك سبيلاً

وايضاً من ذلك استلامه الحجر الاسود الموجود في الكعبة في حال طوافه البيت المزعوم انه هبط من الجنة وما هـذا الحجر سواء كان هبط من الجنة او نيزك من نيازك الجو الساقطة الى الارض من وقت الى آخر ليس هو اكثر من حجر لا روح له ولا حس وما وضعه في محل العبادة وتقبيله الا نوع عبادة وكانت الجاهلية تعبده هكذا كآلهتهم وما هذا الصنم الذي ليس هو مثال شيء ولا به نفع ولا ضرر كما ادرك ذلك عمر بن الخطاب كما روي عنه انه اذ قبل يوماً الحجر الاسود قل اما والله لقد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله قبلك ما قبلتك حديث الصحاح لمسلم مجلد ٢ وجه ٢٣٦ أفلا ترى ان محمداً فعل ذلك للتقارب بينه و بين قومه لامر الذي كان في غاية التوق اليه . ومن ذلك ايضاً كما اسلفنا ذكره مديحه العالي بلهة قريش اللات والعزى ومنة على مسمع جمهور كبير من قريش اذ قال عنها «تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها ترتجى» ثم رجع عن ذلك كما قيل حين جاءه جبرئيل وانكر عليه ذلك والقصة معلومة . و بعد كل ذلك يتجرأ شارحو القرآن على طمس نصوصه الصريحة بشرحهم اياها خلاف صراحتها و بيانها تنزيهاً لمحمد عن شائبة الميل الى اجابة قومه باكرام بعض لهتهم هل ذلك من العقل والدين

كلا ولا ويا اخا البصيرة انظر ما اوهى واحط قوله في «يا ايها النبي اتق الله قال امره بالتقوى تعظيماً وتفخيماً لشأن التقوى والامر بالثبات» انظر كيف هو غطى على المعنى البين في هـذا الامر اذ حاول عبثاً تغطيته واطماسه عن اولي التبصرة والفطانة فمن يا ترى لا يشتم من القول «يا ايها النبي اتق الله» رائحة التبكيت والزجر كأن الآمر بذلك يقول له «يا ايها النبي اراك جنحت نوعاً عن تقوى الله بميلك لاجابة طلب قومك المشركين منك اعتبار الهتهم الباطلة ارضاء لهم من دون الله والله احق ان تبغي رضاه اتق الله ان بأس الله لشديد وهو عليم بما تكنه الصدور لا تطع الكافرين والمنافقين[١]

وذلك كما اذا قلت لوجيه او حاكم يبغي ويظلم او يجور بالحكم يا فلان اتق الله اي عد عن بغيك وجورك الى جادة الحق والعدل ذلك من تقوى الله. فما ابعد تأويل البيضاوي لهذا النص كما الى النصوص الاخر وما اسمجه في عيني المسلم اللبيب الذي لا يخدع بمثل هذه السفاسف الذي كأني به حين يتروى هذه النصوص وتأويلها هذا في البيضاوي يتأفف كثيراً من ذلك ويقول في قلبه مخاطباً ايه كحي واقف لديه اي شيخنا البيضاوي ما هـذا التأويل منك لآيات القرآن غير المعقول من اولي العقول وانا حقاً لنخجل بها لدى أولي البصيرة والنباهة من غير المسلمين كان الاجدر بك ان لا تتعرض لشرحها

---

(١) المراد بالمنافقين هم المظهرون الاسلام والمبطنون الكفر به وقد نهي محمد عن اطاعتهم لانه يظهر انهم كانوا يشيرون بان يفعل مطلوبهم منه واذا سئل عن ذلك يقول هكذا اوحي الي . وهو خير له

وهي في غنى عن ذلك من ان نشرحها وتأولها كذا تأويلاً لا يرضي البائع ولا الشاري ولعلك تقول قدر فكان

والخلاصـة ان هذه النصوص تبـدي لك امرين الامر الاول محاولة العرب الجاهلية ولا سيما قبيلة محمد اقناعه والجاءه الى مشاركتهم ولو جزئياً في إعتبار بعض آلهتهم واستلامها في الطواف ومديحها بشيء حتى هم يقروا بنبوته ورسوليته من الله والامر الآخر ميل محمد بعض الميل الى اجابة طلبهم هـذا بغية التقارب والتآلف بينه و بين قومه وكاد ان يجيبهم الى مطلوبهم هـذا . فكانت اليه تلك النصوص لتبكيته وردعه عن هذا الامر وربما كان ذلك اليه بعد مديحه بآلهتهم اللات والعزى ومناة شـاهداً انهـا الغرانيق العلى ذوات الشـفاعة لدى الله وذلك في احد اندية قريش على مسمع منهـم وذهاب القريشيين فرحين بهـذا المديح السني من محمد قائلين والله لقد مدح محمد بن عبـد الله آلهتنا باحسن المدح انا والله لقد نجحنا في اقناع محمـد وجذبه الى اعتبار واكرام آلهتنا التي كان قد شنع بها كثيراً والآن قد عرف ان لهـا عظيم الشفاعة عنـد الاله الاعظم واتيان جبرئيل اليه عقيب ذلك منكراً عليه انه جاءه من الله بهذا القول وحزن محمد وجزعه من الله . هل ترى مندوحة لعقل العاقل عن تروي النظر في هذه المسألة الهـامة البادية هكذا في القرآن كلا . فياصاحبي الا ان الذي يعقل ان الميل مع الهوى والرغبـة في ارضاء الناس بما من شأنه مس جانب الحق والتقوى ليس هو من شيم انبياء الله ورسله وان ذلك هو الفارق بين اهـل الله واهـل الدنيا طالع ان شئت في التوراة والانجيل سير انبياء الرحمن من موسى الى المسيح وكبطرس و بولس

و يوحنا هل ترى لا أن كثيرين منهم أميتوا قتلا لسبب ثباتهم على حق الله
وتو بيخهم الملوك والرؤساء على زيغانهم عن الله وتركهم شريعته ولم يظهر عليهم
أقل ميل لمـا طلب منهم المشركون والكافرون من أمتهم وغير أمتهم تحت
أشـد التهديد وأعظم الوعد والوعيـد وقط لم يجيء في الكتاب ان الله قال
لاحدهم من مثل ما قيل انه قاله لمحمد من كلام النهي له والامر والانذار والوعيد
اذا هو أصاخ سمعاً لطلب المشركين والمنافقين الكافرين . أين قل الله لموسى
او خليفته يشوع أو اصموئيل أو أشعيا أو أرميا أو دانيال «وان كادوا ليفتنونك
ولقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً الى آخر القول أو يا أيها النبي اتق الله ولا
تطع الكافرين . ولا تجعـل مع الله الهاً آخر فتلقي في جهنم ملوماً مدحوراً .
انظر الى دانيال وأصحابه الثلاثة الفتية وهم من أسرى بني اسرائيـل في بابل
كيف هم آثروا الموت حرقاً في الاتون على أن يسجدوا لصنم الملك نبوخذ
نصر الذي أمروا بالسجود له عرف هؤلاء الفتيان الثـلاثة يقيناً ان كل من
لايخر ساجداً للتمثال الذهبي الذي عمله الملك نبوخذ نصرحين تسمع الجماهير
صوت آلات العزف التي كانت عبارة عن صوت الدعوة للسجود لذلك التمثال
القـائم أمامهم يطرح للحال في أتون النار المتقدة وعرفوا ان أمر الملك وحكمه
لا مرد له ولا مراجعة فيه . ومع ذلك خالفوا أمر الملك ولم يسجدوا لتمثاله مع
الساجدين . ولمـا شكي عليهم بذلك وأحضروا امام ذلك الطاغيـة الجبار
وسألهم وأمرهم أيضاً بالسجود لتمثاله حين يسمعون أيضاً صوت آلات العزف
والا يلقوا للحال في أتون النار المتقدة وقال لهم « ومن هو لاله الذي ينقذكم
من يدي » فأجابوه بقلب لا يهـاب الموت . هو ذا يوجد الهنا الذي نعبده

يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة وان ينقذنا من يدك أيها الملك والا فليكن معلوماً لك أيها الملك اننا لانعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته » وهكذا بشدة غيظ نبوخذ نصر وأمره طرحوا في أتون النار المحمي سبعة اضعاف ما كان معتاداً ان يحمى واخرجوا منه احياء لم تمسهم النار بأذى وكذا الامر في دانيال النبي في عهد داريوس الملك ائتمر وزراء الملك وكادوا مكيدة على دانيال كبير وزراء الملك اذ جعلوا داريوس يشرع شرعاً ممضياً منه وهو ان كل من يطلب طلبة من اله أو انسان مدة ثلاثين يوماً لا من الملك يطرح في جب الاسود ذلك ليقينهم في دانيال انه لاينفك عن الصلاة والدعاء الى الله ربه . مهما كان القصاص رهيباً وبذلك يكون طعماً للاسود فيرتاحون من هذا الوزير اليهودي الامين سمع عبدالله دانيل بذلك وعرف ان امر الملك شرع لاينسخ فقبل ان يكون طعماً لتلك الضواري في ذلك الجب المخيف من ان ينقطع عن عبادة ربه والصلاة اليه فمضى الى بيته وكوه مفتوحة في عليته نحو اورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلى وحمد قدام الهه كما كان يفعل قبل ذلك . فشكى عليه من اولئك الاعداء الحسودين وهكذا طرح في جب الاسود ولكن الله القدير سد افواهها فهابت عبد الله دانيال وربضت عند قدامه كالحملان الوديعة واخرج دانيال بسلام لاحظ سفر دانيال اصحاح ٣ واصحاح ٦

فياعزيز تأمل وانصف انصفك الله ورحمك هل ترى محمداً من مثل هؤلاء الرجال ابطال الله وهو بوعد او وعيد كاد ليفتن عن الله ويفتري عليه اقوالا من عنده يعزوها اليه تعالى مجاباً لطلب قومه وغيرهم من العرب الذين

اشاروا عليه « اذا قالوا لك لماذا ذلك منك فقل ان الله امرني » (راجع كلام اهل ثقيف في النص « وان كادوا ليفتنونك . . . »)

وقد رأيت انه قد كان منه ما كان في امر مديحه لآلهة قريش في سورة والنجم اذا هوى كوحي الله اليه ولما بكت على ذلك قال ان الشيطان القى ذلك على لسانه فظنه من جبرئيل[١] .... انظر شرح النص بهذا الخصوص من سورة الحج آية ٥٠ : للفخر الرازي مجلد ٦ وجه ٢٤٤—٢٤٩ فأسألك هل ترى باعتبار هذا الحادث واعتبار القضايا المتقدمة انه من الصواب والحق اعتبار محمد بن عبد الله الهاشمي نبياً ورسولاً من الله كانبياء الله ورسله حكم في ذلك عقلك وضميرك من دون التفات الى كثرة المؤمنين به الشاهدين له بذلك. أخي من لا يتمنى ان يقيم الله من كل امة نبياً رسولاً ينهج منهج رسل الله وانبيائه السالفين ويجري على خطتهم في القول والعمل ولا سيما خطة المسيح سيد الانبياء والمرسلين مثبتاً ما اثبته نافياً ما نفاه وبعد فكأني بالمسلم النبيل الذي لا يراعي بجانب الحق خليلا حين يقف على مثل هاته القضايا التي اوردناها من القرآن وكتب علماء وائمة الاسلام ويتنبه لها ويزنها بميزان عقله يقول في قلبه وان لم يجاهر بلسانه انا معاشر المسلمين نعتبر محمداً بن عبد الله الهاشمي ليس فقط كنبي ورسول بل سيد الانبياء والمرسلين سيد الاولين والآخرين حتى سيد الكائنات السيادة المختصة بالله رب الكائنات مع ان القرآن لا يخوله مثل هذا المقام ولا يميزه بهذا الامتياز وكل ما جاء في القرآن بخصوص محمد هو انه عبد الله ورسوله

---

[١] ان الضرورة حكمت علي بتكرار الاشارة الى هذه القضية وارجو من القارئ العزيز المعذرة

ومن يرى ان القرآن يرفع موسى وعيسى درجات رفيعة فوق محمد بقوله عن الاول انه كليم الله اي ان الله سبحانه كان يكلم موسى لا بواسطة ملاك ولا بنوع الوحي بل فماً لفم وقد تجلى له على الطور بنوع مهيب جداً ولقنه الشريعة واعطاه وصاياه العشر على وحي حجر مكتوبة باصبع الله واجرى على يده من الآيات والعجائب في مصر وفي البحر الاحمر وفي البرية شيئاً كثيراً وعن الثاني ان ملائكة الله بشرت امه العذراء به وولد منها من دون اب بشري وانه كلمة الله وروح منه وكان وجيهاً في الدنيا والآخرة وكان المسيح آية في الرحمة والاحسان كما جاء في القرآن «ولنجعله آية للناس ورحمة منا» سورة مريم آية ٢٠ اتى باجل الآيات واسمى المعجزات كاقامة الموتى وتفتيح عيون العمي وابراء الاكمه وانزاله مائدة من السماء وخلقه طيراً من طين وقد نقله الله حياً الى السماء وليس شيء من ذلك لمحمد فلا هو بشر به من الملائكة ولا دعي كلمة الله ولا روح من الله ولا ذكر وجاهة له لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا انه اتى بآية ما وليس له في القرآن الا الاعتذار عن عدم ارساله بالآيات بذكر السبب وهو «وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون» سورة بني اسرائيل آية ٦١ ثم لا اشـارة في القرآن ولا لمحة الى اثم او ذنب اتاه المسيح لا ولا كلمة توبة له ولا استغفار بخلاف ما جاء فيه عن محمد ان الله تاب على النبي وانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانه رفع عنه وزره الذي انقض ظهره اذاً يا مسلمين بم امتاز نبيكم في القرآن عن انبياء الله الاولين بل قولوا بم سواهم في الكرامات والاعمال حتى يحق لنا ان ندعوه ولو بوجه ضعيف سيد الانبياء والرسل وسيد الانام السيادة التي ارى يا اخوان ان حقت لنبي حقت

لعيسى المسيح الذي قد امتاز عنهم اعظم الامتيازات كما ترون. اجل امتاز محمد على موسى وعيسى المسيح بامر التغيير والتبديل والنقض والابرام في الاقوال والاعمال امتاز عنهم بالريب والشك بما اتاه احياناً جبرئيل كانزال الله وبما قيل ان الشيطان القى على لسانه ذلك المديح بالهة قريش. امتاز عنهم بتسممه وسحره من اعدائه واعتقاده بعذاب القبر الى درجة ارعبت قلبه خوفاً ورهبة حتى امسى يكثر الاستعاذة بالله من عذاب القبر. امتاز عنهم بميله الى اجابة قومه المشركين بما طلبوه منه رغبة اليهم او رهبة منهم. اهذه يا اخوان هي الامتيازات التي امتاز بها نبي العرب عن انبياء بني اسرائيل حتى حق له ان يدعي السيادة عليهم

وبعد لا يخلق بقارئ القرآن من الباء المسلمين اغفل امر تكرار قصص التوراة والانجيل فيه على اشكال والوان بين زيادة ونقص وابدال وحشو ليست من الاصل بشيء فضلاً عما فيه من حكايات وقصص لا اشارة ولا ايماء في كتاب الله كقصة عاد وثمود ومدين واصحاب الكهف وذي القرنين بحيث اضحى معظم القرآن من هذه القصص الزائدة التكرار فهل ترى من باعث الى ذلك وان القرآن لم يكتب بسوى العربية ولم يرسل سوراً متفرقة الى امم وقبائل كرسائل من الرسول الى كل منها بلغتها الخاصة او بلغة تلك السور الاصلية بحيث يدعو الحال بالضرورة الى تكرار هذه القصص ليكون لكل امة من تلك الامم نصيباً من الاطلاع عليها واذ لم يكن شيئاً من ذلك فما معنى هذا التكرار وما سببه تأمل يا اخي وانظر ان شئت في هذا الجدول ادناه

السير والقصص التي من كتاب الله المتكررة في القرآن

عدد قصة خلق آدم وامر الله الملائكة بالسجود له واغوائه وهبوطه من الجنة

٥ مكررة في خمس سور

١٠ قصة نوح مكررة عشر مرات في عشر سور

٨ قصة ابرهيم مكررة ثماني مرات في ثماني سور

٩ لوط وسدوم مكررة تسع مرات في تسع سور

١٢ موسى وارسال الله اياه الى فرعون . . . مكررة ١٢ مرة في ١٢ سورة

٢ قصة مريم ام المسيح مكررة في سورتين

٤٦

٥ وغير المكررة قصص يوسف وداود وسليمان وزكريا وقايين

٥١

القصص غير الكتابية

عدد

٤ قصة هود مكررة اربع مرات في اربع سور

٦ قصة صالح مكررة ٦ مرات في ست سور

٤ قصة شعيب مكررة اربع مرات في اربع سور

٣ قصة الكهف وامرأة عمران . وقارون

١ قصة موسى مع رفيقه

١٨

١ قصة الاسكندر ذي القرنين

١٩

٧٠

فهاك يا صاحبي سبعين قصة في القرآن بعضها تشغل منه عدة صفحات كقصة يوسف هي سورة برمتها تشغل ١٣ صفحة (نسخة قران متوسط الحجم) وقصة موسى في سورة الاعراف تشغل ست صفحات واعداد منها تشغل الواحدة صفحتين وثلاثة واربعة فمعدلاً تشغل هذه الروايات نحو ١٨٠ صفحة من القرآن وإذا اضفنا الى هذه ما تشغله تلك الشرائع والعادات المأخوذة عن الصابئة والجاهلية واليهودية والنصرانية حسبما رأيت فيما مر بك من صفحات القرآن فماذا ترى يبقى فيه من الاقوال المبتكرة المزعوم انها انزال الله على محمد لا يبقى الا ما قل مما يدعى الناسخ والمنسوخ والوعد والوعيد وشرع النساء وما يختص بمحمد ونسائه وبعض مغازيه ومسئلة زواجه بزينب امرأة زيد وغير ذلك قليلاً كالتعويذ واخيراً اسمح لي يا عزيز ان اقول في ختام هذه القضية من جهة نفسي. اني افتكر لو كنت مسلماً ابن مسلم ابن مسلم حتى ينتهي نسبي في الاسلام الى عمر بن الخطاب او علي ابن ابي طالب او الى نفس محمد نبي الاسلام فولدت وترعرعت ونشأت على هذا الدين الى ان بلغت من السن طور الكهولة وانا به مغرم ومفاخر اكرز به واخطب في الاندية والمساجد على الدكك والمنابر كدين الله الحق الوحيد واعجب كل الاعجاب بمحمد كنبي الله ورسوله الاعظم سيد ولد آدم الاكرم مترنماً بآيات قرآنه نهاري وليلي بتعبد وتقوى وحمية عظمى ثم انيح لي الى ان وقفت ما وقفت عليه وعلمت ما قد علمت ان جل شرع محمد في القرآن مقتبس ومجموع من شرائع وعقائد وعادات صابئية وجاهلية ويهودية ومسيحية مما قد طرأ وجاز على محمد من عامل السحر والتسمم مما لم يطرأ ولا جاز على نبي سواه وما كان منه من امر الريب والشك

فيما قيل له انه انزال الله عليه وتردده في امر ابلاغه الناس مخافة ان يكون كاذباً
فيه ومن جنوحه الى مطاليب قومه المشركين منه ومدحه مرة بآلهتهم الوثنية
على مسمع منهم ومن اصحابه المسلمين ثم الدعوى ان ذلك انما كان القاء من
الشيطان على لسانه الامور التي كما تعلم لم تصدر قط من نبي ولا رسول سواه
والتي هي بالطبع قوادح لا دافع لها في دعواه كنبي الله ورسوله لا بد ان
يداخلني عظيم الشك بدعواه هذه ولا شيء في ذلك من الغرابة بل هو يتوقع
من كل مسلم متعقل لدى اطلاعه على هذه الامور واعمال الفكرة فيها واذا
كان قد عرا محمداً نفسه الشك في صحة ما زعم انه انزال الله عليه لما قد رأى
ما فيه من الاختلاف والتباين حتى امر بسؤال اهل الكتاب عن حقيقة تلك
الامور ايستغرب اذاً ان يعرو المسلم الحر مثل ذلك حين وقوفه على حقيقة
مصادر الاسلام المار ذكرها وتلك الامور والطوارئ الغريبة من انبياء الله التي
تريه بكل جلاء ان الاسلام مزيج من عقائد وشرائع وعوائد الامم الدينية
قبل محمد وفي ايامه بعد ان كان اعتقاده ويقينه ان الاسلام بجزئه وكله دقه
وجله انزل من الله انزالاً على محمد بن عبد الله بلسان جبرئيل و بالوحي رأساً
على النبي كلا لا يستغرب بل لا بد منه ثم اسألك ايمكن ازالة مثل هذا الشك
المتأتي طبعاً عن اطلاعات ومعلومات من نفس كتب الاسلام وتأليف المسلمين
التاريخية التي لا سبيل الى انكارها وهل ترى يلام بحق والحالة هذه الشاك
من المسلمين في دعوى محمد انه نبي الله ورسوله الناجم عن ما ذكر كلا وكأني
بذلك المسكين الشاك في نبوة محمد بالرغم عن ارادته حين يرى سخط القوم
منه وتحاملهم عليه لهذا السبب يقول لهم رحماكم الله يا قومي واهلي رحماكم يا اولي

الالباب والبصائر الانصاف الانصاف يا اخوان. انتم تعلمون ان الريب في امر ما لا يستأذن الدخول الى القلب كما يستأذن الانسان الدخول الى منزل صاحبه وليس هو شيئاً مادياً يمكن صده عن الدخول كما قد يصد الغبار والعصف من الدخول الى العين كلا يا اخوان بل هو شيء عقلي ادبي متى تسنى له سبب او اسباب كالتي نحن في صددها انقض على القلب بسرعة ولا سرعة وميض البرق وتربع فيه بكل حرية وهيهات ان يمكن اخراجه الا بازالة السبب الذي احله في القلب ذلك المحل فهل لكم يا اخوان بازالة هذه الاسباب لطرد الشك المتأتي عنها من قلب اخيكم هذا فأكون لكم من الشاكرين والا فالكف عن الملام وعدم التحامل اخلق بكم والاعذار في موضعه من شيم الكرام

الخاتمة

ها قد رأيت يا صديقي العزيز فيما ادرجناه في هذه المسألة خمسة امور حرية باعتبار اولي الابصار والاخلاص

(الامر الاول) ان الاسلام او دين محمد ليس هو سوى مجموع عقائد وشرائع وقصص واحاديث ونكت ومصطلحات يهودية ونصرانية وصابئية وجاهلية الا القليل الذي المعنا اليه سابقاً

(الامر الثاني) هو ان في القرآن من الاختلاف والتضاد والنقض والابدال والعدول والتخنيض شيء كثير مما يجعله في نظر القارئ النبيه قرآنين لا قرآناً واحداً لاوفاق بينهما ولا وئام ومما يدل كل الدلالة على انه تأليف انسان بل اكثر من انسان واحد

(الامر الثالث) ما جاز على نبى الاسلام باعتبار النص من ضعف اليقين في صحة ما انزل عليه حتى كان يخاف (حسب التفسير) ان يكون كاذباً فيه اذا قرأه على الناس

(الامر الرابع) ميله بعض الاحايين الى مجاراة قومه المشركين واجابتهم الى ما طلبوه منه من اعتبار بعض الهتهم واستلامها في طوافه البيت الحرام حتى آل ذلك الى سقوطه مرة في امر مديح الهتهم

(الامر الخامس) ما طرأ على عقل نبي الاسلام من الخلل والتيهان الزمان الطويل بداعي انه سحر من فلان اليهودي بحيث لم يعد قدراً على التمييز بين الحقيقة والوهم الامر الذي قط ما طرأ على ما سواه من انبياء الله ورسله

فيا اخا النبالة انظر وتدبر واحكم حكماً عادلاً اذا كانت هذه الامور لا مراء فيها ولا سبيل الى انكارها لانها من القرآن والحديث المثبت ومن تآليف علماء المسلمين وادبائهم الا تراها مدعاة الى الشك في نبوة محمد ورسالته والا فماذا . انك كمسلم من خيار المسلمين ونخبة تقاتهم ربي ونشأ على اعتبار محمد ابن عبد الله الهاشمي كنبي الله ورسوله الاعظم وحبيبه الخاص تقدر ان تغمض عينيك عن كل هذه المسائل القادحة بنبوته كانها غير موجودة ولا مسطورة وتصم اذنيك عن سماع كل دليل و بينة على كونه ليس بنبي الله ولا رسوله اجل وتقدر ان تحكم عقلك في هذه الامور ولا تحرمه حقه من انتقاد وفحص القضايا التي تعرض عليه مما يختص بمذهبك وعقيدتك الدينية لتميز صحيحها من فاسدها شأن كثيرين من اولي الاديان والمذاهب . وتقدر ان ترفع محمداً درجات رفيعة بقلمك ولسانك فوق كل نبي ومرسل وتنعته بالقاب

لا تجوز لغير الله كسيد الانبياء والمرسلين وسيد الانام وسيد الكائنات او سيد الوجود او سيد كل سيد في هذا الكون كما ينعته بذلك كثيرون من المسلمين وربما كافتهم تقدم على ذلك وفوق ذلك . لكن يا حبيبي اسألك الك في القرآن مثل هذه النعوت لمحمد ؟ كلا لا شيء منها في القرآن او تقدر ان تنزهه عن هذه الامور التي ادرجناها في هذه الرسالة التي تريك محمداً خلاف اعتقادك فيه افي امكانك ان تثبت بالدليل القاطع والبرهان الناصع انزال القرآن من الله على محمد افي استطاعتك ان تثبت ان ذلك الاستاذ المدعو جبرائيل الذي كان يختلي بمحمد البضع من الايام في غار جبل حراء يدرسه القرآن (كما يذهب البعض) كما يدرس الشيخ الولد ثم على تمادي الايام يجتمع به من حين الى آخر ويلقي اليه الشيء بعد الشيء من الاقوال التي يزعم انه اتاه بها من عنـد الله ملاك الله آه يا عزيز لا ارى ذلك في امكانك ولا امكان احد من المسلمين على وجه الارض . بل كلما حاول المسلم ذلك رأى الوجه السلبي من هذا الوجه ازداد تعاظماً وارتفاعاً . مولاي قد ابى الرحمن ان يبقي الحق الى الابد مخفى عن اتباع محمد الهاشمي فاتاح للمبصرين منهم ابرازه في هذا العصر الانور تلقاء عيونهم لعلهم يبصرون بل سيبصرون ان شاء الله والله على كل شيء قدير . اظن ان كثيرين من اخواني المسلمين الذين تصلهم هذه الرسالة لدى نظرهم فيها قليلاً لا يتمالكون الا ان يضربوا بها عرض الحائط حانقين كل الحنق على كاتبها كمن هو الد عداة الاسلام والمسلمين وما لهم في ذلك سوى الظن المتأتي عن عدم التدبر والتسرع في الامور فلو حلموا وتقدموا في قراءتها بروية واخلاص الجاري مع مدادها جريان الدم في عروق

البدن وان الكاتب لم يأت بفرية فيما كتب ولا بشيء من تأليف اهل الكتاب فقط من الاسلام والمسلمين مما لا يستطاع تفنيده الا ان يكون الكاتب اخطأ في النقل بكلمة ما او حرف او بشيء من الاعراب مما لا يعصم منه الكتاب . قد مضى على الاسلام نحو ١٣١١ سنة مسيحية وقد نبغ بين المسلمين في هذه الثلاثة عشر قرناً ولا سيما في عهد الدولة العباسية وخصوصاً في ايام الرشيد والمأمون علماء وفلاسفة وادباء من الطبقة الاولى كتبوا والفوا كتباً عديدة مفيدة في الالهيات والآداب والتاريخ وعلم الهيئة باذلين في ذلك جهد التحري والاستقصاء الممكن لهم في تلك الايام ولكن كما يرى ما قام قط بينهم من وضع الدين الاسلام موضع الانتقاد والتحري الذي يتطلبه العقل واجرى عليه حق المحص والامتحان وجاهر بذلك بل جعلوه بمعزل عن ذلك مقتصرين على محاولة بيان فضله على ما سلف من الاديان وعلى صلاحيته للانسان وعلى تعظيم محمد تعظيماً جائز الحد وذلك لامراء تقصير لا يعذروا عليه . فاقول اما حان لفقهاء المسلمين وادبائهم ان ينبذوا عنهم قصياً التعصب الاعمى غير الجدير باولي الالباب والذكاء ويضعوا الاسلام تحت الامتحان الاصولي الدقيق سورة فسورة نص فنص رواية فرواية حديث فحديث ليروا اله الاساس المتين الراسخ ام لا اهو وفق كتب انبياء الرحمن ام ينافيها اهو حقيقة مصدق للتوراة والانجيل كما ينص في القرآن او ذلك مجرد دعوى وهل القرآن بوحدة الروح والوفاق بين نصوصه او لا وهل هو بشرائعه وفرائضه واركانه مجموعاً او مؤلفاً او منزلاً من الله على محمد وهل لمحمد البينة الكافية الوافية التي لا تدحض انه نبي الله بلا مراء كبينات انبياء الله ورسله

مثل موسى ويشوع وصموئيل وايليا والمسيح ام لا شيء من ذلك.اجل يا اهل الاسلام قد آن الزمان لتنظروا في هذه المواد نظر التعقل والاخلاص لتعلموا اعلى الهدى انتم . . . انظروا وابحثوا وامتحنوا لانفسكم قبل فوات الوقت وحلول الرمس حيث لا يجدي الانتباه والبحث امتحنوا ما انتم عليه من العقيدة واليقين قبل يوم الحشر والوقوف امام ديان العالمين

وما ضر بالذهب الامتحان بالنار بل زاده بهاء ولمعاناً وانما ضر بما هو بمظهر الذهب وليس هو بذهب وافضل اداة لكم لامتحان ما انتم عليه من العقيدة هو كتاب الله بايدي اهله المشهود له في القرآن انه نور وهدى على التي هي احسن وحق امتحان الجديد بالقديم المشهود له من الجديد مثل هذه الشهادة المتوفرة في القرآن الشهادة التي لا تدع سبيلاً لمسلم لان يرمي كتاب الله بايدي اهله اليهود والنصارى بالتحريف وتصحيف تأمل

اني كرجل متقدم في الايام على وشك الرحيل من الدنيا الى دار الابد رمت ان اختم وقتي في ارض الغربة بتحبير هذه الرسالة خدمة لاخواني وبني جلدتي المسلمين علهم او بعضهم يقدرونها حق قدرها فيعطونها ولو محلا صغيراً في زوايا اذهانهم . وبكل الاحوال اكون مسروراً اني قمت بالواجب الاخوي انحوهم جهد المستطاع . ولقد يرى القارىء النبيه اني قد اتيت بنسقها على صورة مبتكرة واسلوب جديد (كما اظن) ذلك اني تيت بأركانها واسس قضاياها من ذات كتاب الاسلام وتآليف المسلمين كي لا يبقى سبيل الى الاعتراض والاحتجاج عليها . وقد يرى يضاً اني افرغت وسعي في سبيل سبكها بقالب الرقة والتؤدة على ني لا أدعي اني بلغت غاية فيهما . وبعد

ذلك الا اكون يا اخواني المسلمين مظلوماً منكم اذا انتم عددتموني من من خصومكم الالداء

اي اخي المسلم ألست واياك سائرين على عجل الى الدار الآخرة والى الوقوف امام ديان العالمين حيث تجلى السرائر ويبدو الحق والباطل . فهل ياعزيزي في ذلك الموقف الرهيب من غرض طائفي وتحزب ملي كلا ذلك يكون قد دفن بدفن جسومنا وانحل بانحلالها . هناك تبدو الحقيقة بباهي جمالها والبطل بغاية قبحه . هناك لا عذر مقبول لمن كان حاصلا على وسائط النور ولم يبال بها بان يقول رب لا دريت ولا علمت . وربما امكنني هناك ان اقول رب اني كما تعلم قد وفيت ما علي من حق النصح والانذار لاخي هذا وعرضت عليه الانجيل نعمتك وحقك بما استطعت من امارات الحب وذرائع الاخاء فكان يرى لنفسه غني عنه بما لديه من كتب سواه . وأنت ياحبيبي بمَ تجيب ثم بما تدفع عن نفسك اذا انت اغضيت في دنيك عن كتاب الله ربك كتاب النور والهدى الذي اورثه الله بني اسرائيل وعرجت عن طريق الحق التي بدت لعينيك ورفست النصيحة المقدمة اليك من دون روية ولا تدبر بداعي ما في ذلك من المغايرة والمنافاة لدينك الذي ولدت فيه ونشأت عليه والفته وتعشقته منذ صباك حتى كأنه صار جزءاً منك بل صرت انت جزءاً منه. الله ربي اسأل ان يكفيك هول ذلك الموقف . وبعد فان يقيني بك كرجل نبيل يخول كل مسألة حقها من التأمل والتروي وكل مقال حقه من التبصر والتدبر انك اتيت بالمطالعة الدقيقة الى آخر كلمة من هذه الرسالة بالحلم والتوءدة وحكمت بما يوحيه اليك حسن تعقلك ووجدانك واني لمتوقع من

فاضل كريم نظيرك اذا رأيت فيها شيئاً من الخطأ سواء كان في النقل او من حيث اللغة او المعنى ان لاتطرح بهـا الى الوراء كسقط المتاع بل تبسط ذيل المعذرة على اخيك كاتبها غير ناس عدم عصمته من الخطأ والزلل واني اعيذك بالله ان تطرح الحنطة الجيدة على المزابل بداعي انه يخالطها شيء من الزوان التي ان نزعته منها كانت لك افضل غذاء الا تراني يا اخي اني بذلت الجهد المستطاع في اجتناب التطرف والغلو في تحبيرها وفي التحري فيما اقتبسته واتيت به من القرآن وشرحه من شراحه ومن المؤلفات التاريخية مع تحاشيي كلمـا من شأنه ان يخدش احساسات المسلم الاديب الاماكن لابد منـه بحكم الضرورة لان الغاية التي توخيتها في كتابتها وغرضي الذي ارمي بها اليه ليس المقارعة والمصارعة بغية الفوز والانتصـار لا ومعاذ الله بل التنبيه والدلالة على الحق الصريح لخير وسعادة من هي موجهة اليهم دنيا وآخرة

و بعد ايفوتك يا صاحبي ان في القرآن المقـام الاسمى والـكلام الاجل لعيسى المسيح . كالعجيب الولادة والمسيحية والنسبة لله وكالوجيه عند الله في داري الدنيا والآخرة ورب الآيات والمعجزات والمتفرد في القداسة والطهارة الامور التي لم يخص القرآن بها نبياً من الانبياء احقاً لايخطر على بالك السؤال لماذا يا ترى جمعت كل هذه الامتيازات في المسيح وهل يمكن ان يكون ذلك بدون علة خطيرة وما تكون ليت شعري هـذه العلة وما غاية الله في هذا الشخص العجيب المتسامي كذا على عموم انبياء الله ورسله ومن لنا ببيان هذه الغاية اي عزيزي عبثاً تبحث في الاسلام عن غاية الله في المسيح كلمته «وروحه» حسب القرآن لا تجده الا في كتاب الله التوراة والانجيل فيـه ولا سواه تجد

ضالتك المنشودة اجل في هذا الكتاب تجد اعلان غاية الله في مسيحه العجيب وهي فداء للانسان من طائلة الخطية فعليك بالاقبال عليه اقبال الظمآن على الماء الزلال

وثم اقول هل ازيدك يا صديقي علماً بان الحق واحد وان تعددت الاديان والمذاهب. فتوهم كل ذوي دين او مذهب انهم لامراء على الحق ظاهر البطلان لان الحق لايتعدد فربما ما اعتبره زيد من الرأي والقول حقاً كان بطلا وما اعتبره عمرو بطلا كان حقاً وكم من الناس من حفظ في صندوقه بكل حرص حجراً لماعاً ظنه ماساً او ياقوتاً غالي الثمن ولدي مسيس الحاجة اليه وجد لخيبته وحسرة قلبه زجاجاً لايساوي درهماً وكم من جاهل احمق وجد حجراً كريماً يضمن له الغنى ورغد العيش فباعه لجهله بجوهره بابخس ثمن فالمؤمن من محص ونقب ووزن الامور والمسائل لامن ادعى وكابر ونافس والرجل من لم يقبل شيئاً مادياً كان او ادبياً او دينياً من دون ستعماله عقله في امر معرفة حقيقة ذلك الشيء لامن سلم تسليم اعمى بما قد ورث وتقلد عن السلف من الاباء والاجداد او لان فلان العالم النحرير شهد بحسنه واحقيته فمن اعتمد الاول امن الحيف والخسارة ومن لزم الآخر جنى منه الشنار والعار و لدمار

واخيراً أقول ان ما أوردته وجئت به في هذه الرسالة من الادلة والبينات الجلية غير القابلة الدحض والانكار على ان الدين المحمدي ليس هو سوى مؤلف مقتبس ومجموع من شرائع وعقائد وعادات الامم عربية وأعجمية يتعذر في هذه الايام الجهر بها بين طبقات المسلمين لان الا كثرية في حلة الجهل حتى في أمور دينهم لايعرفون منه اكثر من « لا اله الا الله محمد رسول الله

والصوم وفرائض الصلاة والحج والزكاة وان القرآن أنزل من الله على النبي ولكنهم لا يفقهون كلام القرآن ولا يميزون ما فيه من النقض والابرام ولا لما هذا وذاك من النصوص وهم غاية التعصب والكره لغير المسلمين شأن الجهلاء في كل ملة ولما كانت المحبة والذمة تطالبنا كمسيحيين بوجوب ابداء ذلك لاخواننا المسلمين ليكونوا على بيان من جهة هذه الامور وليروا حق الله ونعمته اللذين أبداهما للناس في كتابه اللذين بالمسيح صارا «انظر انجيل يوحنا اصحاح ١ عدد ١٧» فلم نر وسيلة الى ذلك كالقلم بكتابة الكتب والرسائل على انواع واساليب شتى وتقديمها اليهم بالطرق التي يتيحها لنا الله راجين من لطفه انها لاتذهب فيهم سدى بل بالنتيجة الصالحة لمشار اليها في من قد خصهم الباري تعالى بحسن التعقل وجودة البصيرة وليس ذلك بالامر العسير على ربك القدير وهذ ما عنيت به تقدمة اليك من خالص الحب والوداد آملاً ان يحل ارحب محل في ذهنكم النقي وسلام الله لمن ابتغى وجه الله والسلام

انتهى

م

